



تعليم المتعلم طريق التعليم

تأليف

الإمام برهان الإسلام «الزرنوجي»
تلميذ صاحب الهداية

عني بشرحه وضبط ألفاظه

عبد العزيز صقر شاهين

أحد علماء ومدرسي الأزهر الشريف

الناشر

مكتبة كتيب خزانة

مقابل آرام باغ - كراچی -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ نَبِيَّ آدَمَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ يَتَابِعِ الْعُلُومِ
وَالْحِكْمِ (وَبَعْدُ) فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ تُلَّابِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا يَجِدُونَ إِلَى
الْعِلْمِ وَلَا يَصِلُونَ، وَمِنْ مَنَافِعِهِ وَثَمَرَاتِهِ يَحْرَمُونَ، لِمَا أَنَّهُمْ أَخْطَرُوا طَرِيقَهُ
وَتَرَكَوا شَرَائِطَهُ، وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ ضَلَّ، فَلَا يَنَالُ الْمَقْصُودَ، قُلْ
أَوْ جَلَّ، أَرَدْتُ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أُبَيِّنَ لَهُمْ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ، عَلَى مَا رَأَيْتُ
فِي الْكُتُبِ وَسَمِعْتُ مِنْ أَسَاتِيدِي أُولَى الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ، رَجَاءَ الدُّعَاءِ لِي مِنَ
الرَّاغِبِينَ فِيهِ الْمُخْلِصِينَ، بِالْفَوْزِ وَالْخَلَاصِ فِي يَوْمِ الدِّينِ، بَعْدَ مَا اسْتَحَرْتُ
اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، وَسَمَّيْتُهُ «تَعْلِيمُ الْمُتَعَلِّمِ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ» وَجَعَلْتُهُ فصولاً :

(فصل) فِي مَاهِيَةِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَفَضْلِهِ (فصل) فِي النِّبَةِ فِي حَالِ التَّعْلِيمِ

(فصل) فِي اخْتِيَارِ الْعِلْمِ وَالْأَسَازِ وَالشَّرِيكِ وَالنَّبَاتِ

(فصل) فِي تَعْظِيمِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ (فصل) فِي الْجِدِّ وَالْمُواظَبَةِ وَالْهَمَّةِ

(فصل) فِي بَدَايَةِ السَّبْقِ وَتَرْتِيبِهِ وَقَدْرِهِ (فصل) فِي التَّوَكُّلِ

(فصل) فِي وَقْتِ التَّحْصِيلِ (فصل) فِي الشَّفَقَةِ وَالنَّصِيحَةِ

(فصل) فِي الْإِسْتِفَادَةِ (فصل) فِي الْوَرَعِ حَالِ التَّعَلُّمِ

(فصل) فِيمَا يُورِثُ الْحِفْظَ وَفِيمَا يُورِثُ النِّسْيَانَ (فصل) فِيمَا يَجْلِبُ

الرِّزْقُ وَمَا يَمْنَعُهُ، وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَمَا يَنْقُصُ. وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

— فصل في ماهية العلم والفقه وفضله —

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ

وَمُسْلِمَةٍ،

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ طَلَبُ كُلِّ عِلْمٍ وَإِنَّمَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ طَلَبُ

عِلْمِ الْحَالِ (١)

(١) علم الحال: يريد به الأحوال والشؤون التي لا بد أن تمرض للإنسان في حياته

فَإِنَّهُ يُقَالُ : أَفْضَلُ الْعِلْمِ عِلْمُ الْحَالِ ، وَأَفْضَلُ الْعَمَلِ حِفْظُ الْحَالِ ، وَيُقْتَرَضُ عَلَى الْمُسْلِمِ طَلَبُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي حَالِهِ ، فِي أَىِّ حَالٍ كَانَ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الصَّلَاةِ فَيُقْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي صَلَاتِهِ بِقَدْرِ مَا يُؤَدِّي بِهِ فَرَضَ الصَّلَاةِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ بِقَدْرِ مَا يُؤَدِّي بِهِ الْوَجِبُ ، لِأَنَّ مَا تَوَسَّلَ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرَضِ

كالإيمان ومعرفة أحكام العبادات والمعاملات الضرورية وطرائق السعى إلى الرزق والعمل لاكتساب ما يحفظ الرق ، فلاجل أن يكون مؤمنا يجب أن يتعلم ما يصل به إلى الإيمان من علم أصول الدين ، ولاجل أن يعرف ما فرضه الله عليه من واجبات ، يجب أن ينظر في علم الفقه ليعرف حدود ذلك ولاجل أن يتعرف سبل السعى إلى الرزق والحصول على المعاش يجب أن يتعلم من علوم الحياة ما يستطيع فعله .

فالغرض الذي يرمى إليه الدين الإسلامى هو الوصول بالإنسان إلى السعادة فى الدنيا والآخرة .

قال الله عز وجل : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » سورة الجمعة : آية (١٠)
وجاء فيما رواه البيهقى من الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تَعْلَمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ثُمَّ انْتَهَوْا ، وَتَعْلَمُوا مِنَ الْعَرِيَّةِ مَا تَعْرِبُونَ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ ثُمَّ انْتَهَوْا ، وَتَعْلَمُوا مِنَ الْجُومِ مَا تَهْتَدُونَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ثُمَّ انْتَهَوْا » .

يَكُونُ فَرَضًا، وَمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْوَاجِبِ يَكُونُ وَاجِبًا. وَكَذَلِكَ
فِي الصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالْحَجُّ إِنْ وَجَبَ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ
فِي الْبُيُوعِ إِنْ كَانَ يَتَجَرُّ

قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَا تُصَنِّفُ كِتَابًا فِي الزُّهْدِ؟
قَالَ: صَنَفْتُ كِتَابًا فِي الْبُيُوعِ! يَعْنِي الزَّاهِدُ هُوَ مَنْ يَتَحَرَّزُ عَنِ
الشُّبُهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي التَّجَارَاتِ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ
وَالْحَرِيفِ. وَكُلُّ مَنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْهَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ التَّحَرُّزِ عَنِ الْحَرَامِ
فِيهِ. وَكَذَلِكَ يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ أَحْوَالِ الْقَلْبِ: مِنَ التَّوَكُّلِ، وَالْإِنَابَةِ،
وَالْحَشْيَةِ، وَالرِّضَا، فَإِنَّهُ وَقَعَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

وَشَرَفَ الْعِلْمُ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ؛ إِذْ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِيَةِ لِأَنَّ جَمِيعَ الْخِصَالِ
سِوَى الْعِلْمِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ كَالشَّجَاعَةِ وَالْجَرَاءَةِ،
وَالْقُوَّةَ، وَالْجُودَ؛ وَالشَّفَقَةَ وَغَيْرَهَا سِوَى الْعِلْمِ؛ وَبِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ

(١) محمد بن الحسن: يعمله بأبي حنيفة صلة قرابة وهو من تلاميذ أبي يوسف

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ : وَأَمَرَهُمُ بِالسُّجُودِ لَهُ ^(١) وَإِنَّمَا شَرَفَ
 الْعِلْمَ لِكَوْنِهِ وَسِيلَةً إِلَى التَّقْوَى الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَرْءُ الْكَرَامَةَ عِنْدَ اللَّهِ
 تَعَالَى وَالسَّعَادَةَ الْآبَدِيَّةَ : كَمَا قِيلَ لِمُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ :
 تَعَلَّمَ فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينٌ لِأَهْلِهِ وَفَضْلٌ وَعُنْوَانٌ لِكُلِّ الْمُحَامِدِ ^(٢)
 وَكُنْ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً مِنَ الْعِلْمِ وَأَسْبَحْ فِي بُحُورِ الْفَوَائِدِ ^(٣)
 تَفَقَّهَ فَإِنَّ الْفَقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٌ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدٌ ^(٤)
 هُوَ الْعِلْمُ الْهَادِي إِلَى سَنَنِ الْهُدَى هُوَ الْحِصْنُ يُنَجِّي مِنْ جَمِيعِ الشَّدَائِدِ ^(٥)

- (١) حيث قال عز وجل : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » سورة البقرة آية (٣١)
 وأمرهم بالسجود له في قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس » سورة البقرة آية (٣٤) . والسجود معناه الخضوع
 (٢) المحامد جمع محمدة بفتح الميمين مصدر ميمي بمعنى المحمود : يعني أن العلم دليل على أن صاحبه ذو فضل عظيم وأخلاق كريمة وخصال محمود
 (٣) أي في الفوائد التي كالبحور كثرة وعظما وفيه إشارة إلى قوله تعالى :
 « وقل رب زدني علما » سورة طه ، آية (١١٤)
 (٤) قاصد : عادل (٥) السنن بفتح السين : الطريق

فَإِنَّ قَعِيهَا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ (١)
وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَخْلَاقِ نَحْوُ الْجُودِ وَالْبُخْلِ وَالْجَبْنِ وَالْجُرْأَةِ وَالتَّكْبَرِ
وَالْتَوَاضُعِ وَالْعِفَّةِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّ الْكِبَرَ وَالْبُخْلَ وَالْجَبْنَ
وَالْإِسْرَافَ حَرَامٌ؛ وَلَا يُمَكِّنُ التَّحَرُّزُ عَنْهَا إِلَّا بَعْلَهَا وَعِلْمُ مَا يُضَادُّهَا،
فَيَفْتَرِضُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهَا. وَقَدْ صَنَّفَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ الشَّهِيدُ
نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ كِتَابًا فِي الْأَخْلَاقِ، وَنَعَمَ مَا صَنَّفَ، فَيَجِبُ عَلَى
كُلِّ مُسْلِمٍ حِفْظُهَا

وَأَمَّا حِفْظُ مَا بَقِيَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَعَرَضُ عَلَى سَبِيلِ الْكِفَايَةِ، إِذَا
قَامَ بِهِ الْبَعْضُ فِي الْبَلَدَةِ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَلَدَةِ مَنْ يَقُومُ

(١) ليس المراد بالآلف تحديد العدد، بل بيان الكثرة. وإنما كان الفقيه المتورع الواحد أشد على الشيطان من كثير من العابدين غير الفقهاء لأن الفقيه على بينة من الحلال والحرام فلا يستطيع الشيطان أن يضله، أما العابد غير الفقيه فهو بعد الله على غير بصيرة، فمن الهين على الشيطان أن يورطه في الضلال دون أن يشعر، ومن السهل أن يوقعه في حبال متشابكة من الشبه والشكوك.

به اشتركو جميعاً في المآثم^(١) فيجب على الإمام أن يأمرهم بذلك ويحبر
أهل البلدة عليه ، وقد قيل : إن علم ما يقع على نفسه في جميع الأحوال
هو بمنزلة الطعام لأبد لكل واحد^(٢) منه ، وعلم ما يقع في بعض الأحيان
بمنزلة الدواء يحتاج إليه حين المرض فقط . وعلم النجوم^(٣) بمنزلة

(١) المآثم : الإثم والمعصية . وإنما اعتبر الجميع مشتركين في الإثم والمعصية
بترك ما يحتاج إليه الفرد في بعض الأحيان لأنه مصلحة عامة ، فإذا انقطعت
حاجة الفرد إليها في بعض الأحيان ، لحاجة المجموع إليها دائمة لاتقطع .

(٢) يتلخص معنى هذه العبارة في أن من العلوم ما هو ضروري للبرء
لا يستطيع أن يؤدي واجباته الدينية والدينية إلا به ، كما لا يستطيع أن يعيش
بدون طعام يقيم به أوده ويسد رمقه . فتعلم مثل هذه العلوم واجب شرعاً على
كل فرد بعينه ، ومنها ما قد يحتاج إليه في بعض الأحيان ، كما يحتاج الإنسان إلى
الدواء حين المرض ، فتعلم مثل هذه العلوم لا يجب على كل فرد بعينه ، ولكن
يجب أن يكون في كل جماعة عدد من العارفين بها يكفي لسد حاجة هذه الجماعة
إليها ، فشلاً لا يجب على كل فرد أن يكون طبيباً ، ولكن يجب أن يكون في كل
جماعة عدد من الأطباء يكفي لعلاج من يمرض منهم .

(٣) يظهر أن المؤلف لا يقصد بعلم النجوم علم الفلك بدليل قوله : « والمهرب
من قضاء الله غير ممكن ... » ، فإن علم الفلك لا يبحث في وسائل المهرب من قضاء
الله ، وإنما هو علم يبحث في عالم الكواكب والأفلاك ، ونظام سيرها ، وقواعد

المرَضِ قَتَلَهُ حَرَامٌ لِأَنَّهُ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَالْهَرَبُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى
وَقَدْرِهِ غَيْرُ مُسَكِّنٍ ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْتَقِلَّ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ
تَعَالَى وَالِدُعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّدَقَاتِ الدَّافِعَةِ لِلْبَلَاءِ ، وَيَسْأَلُ
اللَّهُ تَعَالَى الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لِيَصُونَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْبَلَاءِ
وَالْآفَاتِ ، فَإِنَّ مِنْ رُزْقِ الدُّعَاءِ ، لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةُ ، فَإِنْ كَانَ الْبَلَاءُ مُقَدَّرًا
يُصَبُّ لِأَحَالَةٍ ، لَكِنْ يُبَسِّرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَيَرْزُقُهُ الصَّبْرَ بِرُكَّةِ الدُّعَاءِ
اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا تَعَلَّمَ مِنَ النُّجُومِ قَدْرَ مَا يَعْرِفُ بِهِ الْقِبْلَةَ وَأَوْقَاتَ الصَّلَاةِ
فَيَجُوزُ ذَلِكَ

الجازية بيننا ، وأوقات شروقها وغروبها .. وغير ذلك مما يحتاج إليه أشد الاحتياج
في كثير من الفنون الدينية والدنيوية ، ومن بطلع على أبحاث الفلكيين الدقيقة
لا يسمعه إلا أن يخرج ساجدا لحالق هذا العالم الذي يهر العقول وبدمش الأبواب
قال الله تعالى : « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » سورة آل عمران ، آية (١٩٠)

وقال صلى الله عليه وسلم : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم اتهاوا
وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم اتهاوا ، وتعلموا من النجوم ما تهتدون
فيه في ظلمات البر والبحر ثم اتهاوا) .

وَأَمَّا تَعْلَمُ عِلْمَ الطَّبِّ فَيَجُوزُ لِأَنَّهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ ، فَيَجُوزُ تَعْلَمُهُ
كَسَائِرِ الْأَسْبَابِ ، وَقَدْ تَدَاوَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَقَدْ حُكِيَ
عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : الْعِلْمُ عَلَيَانِ : عِلْمُ الْفَقْهِ لِلْأَدْبَانِ
وَعِلْمُ الطَّبِّ لِلْأَبْدَانِ ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ بُلَغَةٌ بِمَجْلِسٍ (١)

وَأَمَّا تَفْسِيرُ الْعِلْمِ فَهُوَ صِفَةٌ يَتَجَلَّى بِهَا لِمَنْ قَامَتْ هِيَ بِهِ الْمَذْكُورُ (٢)
كَذَا هُوَ . وَالْفَقْهُ : مَعْرِفَةُ دَقَائِقِ الْعِلْمِ مَعَ نَوْعٍ (٣) عِلَاجٍ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ
رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : الْفَقْهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا . وَقَالَ : مَا الْعِلْمُ إِلَّا الْعَمَلُ بِهِ
وَالْعَمَلُ بِهِ تَرْكُ الْعَاجِلِ لِلْأَجَلِ . فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَغْفَلَ عَنْ نَفْسِهِ

(١) بُلَغَةُ مَجْلِسٍ : كِفَايَةُ مَجْلِسٍ ، أَيْ يَكْتَفِي لِتَحْدِيثِ بِهِ فِي الْمَجْلِسِ

وَلَوْ صَحَّ أَنَّ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هَذَا فَلَيْسَ يَقْصِدُ مِنْهُ أَنْ يَخْبِرَ
هَذَيْنِ الْعُلَمَاءِ لَا قَائِدَةً مِنْهُ سِوَى التَّحْدِيثِ بِهِ فِي الْمَجَالِسِ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ أَنَّهُ يَجِبُ
وَجُوبًا عَيْنِيًّا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ أَنْ يَعْرِفَ مِنَ الْفَقْهِ مَا يَسْتَقِيمُ بِهِ دِينُهُ وَتُصَحَّ طِبَادَتُهُ
وَمِنْ عِلْمِ الطَّبِّ مَا يَحْفَظُ بِهِ صِحَّتَهُ وَيَنْتَقِي أَسْبَابَ الْأَمْرَاضِ وَهُوَ مَا يَسْمَى وَعِلْمُ تَدْيِيرِ
الصِّحَّةِ ، وَمَاعِدَا هَذَيْنِ الْعُلَمَاءِ فَهُوَ وَاجِبٌ وَجُوبًا كِفَايَا

(٢) الْمَذْكُورُ : أَيْ مَا يَتِمُّ بِهِ الْعِلْمُ : كَمَا هُوَ : أَيْ عَلَى حَقِيقَتِهِ

(٣) هَذَا تَعْرِيفٌ لِلْفَقْهِ بِالْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ الْعَامَّةِ الَّتِي يَشْمَلُ كُلَّ الْعُلُومِ

وَمَا يَنْفَعُهَا وَمَا يَضُرُّهَا فِي أُولَاهَا وَأُخْرَاهَا ، فَيَسْتَجْلِبُ مَا يَنْفَعُهَا وَيَجْتَنِبُ
مَا يَضُرُّهَا كَيْلًا يَكُونُ عَقْلُهُ وَعِلْمُهُ حُجَّةً عَلَيْهِ فَيَزِدُّهُ عَقُوبَةً ، نَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَقَصَائِلِهِ آيَاتٌ وَأَخْبَارٌ صَحِيحَةٌ مَشْهُورَةٌ لَمْ نَسْتَغْلِ
بِذِكْرِهَا كَيْلًا يَطُولَ الْكِتَابُ (١)

(فصل في النية حال التعلم)

ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ النِّيَّةِ فِي زَمَانِ تَعَلُّمِ الْعِلْمِ ، إِذِ النِّيَّةُ هِيَ الْأَصْلُ فِي جَمِيعِ
الْأَحْوَالِ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، حَدِيثٌ

(١) قَالَ تَعَالَى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ » إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ، سُورَةُ (الزمر) آيَةُ (٩)
وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ،
سُورَةُ الْمَجَادَلَةِ آيَةُ (١١)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا
كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ، سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ (٢٦٩) وَجَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ بَرَدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ - خَيْرُ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ مَعَ الْعِلْمِ ، وَشَرُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعَ الْجَهْلِ ،

صَحِيحٌ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةٍ
أَعْمَالِ الدُّنْيَا وَيَصِيرُ بِحُسْنِ النَّيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ
بِصُورَةِ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَصِيرُ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا بِسُوءِ النَّيَّةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ
يَنْوِيَ الْمُتَعَلِّمُ بَطَلْبِ الْعِلْمِ رِضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَالنَّارَ الْآخِرَةَ وَإِزَالَةَ الْجَهْلِ عَنْ
نَفْسِهِ وَعَنْ سَائِرِ الْجُهَالِ وَإِحْيَاءَ الدِّينِ وَإِبْقَاءَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ بَقَاءَ الْإِسْلَامِ
بِالْعِلْمِ وَلَا يَصِحُّ الزُّهْدُ وَالتَّقْوَى مَعَ الْجَهْلِ، أَنُشِدَنِي الْأُسْتَاذُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ
الْأَجَلُ بُرْهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ الْهُدَايَةِ لِبَعْضِهِمْ:

فَسَادَ كَبِيرُ عَالَمٍ مُتَهَكِّكٌ وَأكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ
هُمَا قَتْنَةٌ فِي الْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ لَمَنْ بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

وَيَنْوِي بِهِ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ، وَصِحَّةِ الْبَدَنِ وَلَا يَنْوِي بِهِ إِقْبَالَ
النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا اسْتِجْلَابَ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَالْكَرَامَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عِبِيدِي لَأَعْتَقْتَهُمْ وَتَبَرَّأْتُ
عَنْ وَلَائِهِمْ. وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ قَلْبًا يَرْغَبُ فِيهَا

عَنْ النَّاسِ

أَشَدُّنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الْأَسْتَاذُ قَوَامُ الدِّينِ حَمَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
 إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارُ الْأَنْصَارِيُّ إِمْلَاءً لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى شِعْرًا :
 مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْعِبَادِ فَازَ بِفَضْلِ مِنَ الرَّشَادِ
 فَإِذَا خُشِرَ أَنْ طَالِيَهُ لَيْلٍ فَضْلٌ مِنَ الْعِبَادِ
 اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا طَلَبَ الْجَاهُ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنْفِذِ
 الْحَقِّ وَإِعْزَازِ الدِّينِ ، لَا لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ ، فَيَجُوزُ ذَلِكَ بِقَدَرِ مَا يُقِيمُ بِهِ الْأَمْرَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ
 يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ بِجُهْدٍ كَثِيرٍ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَى الدُّنْيَا الْخَفِيرَةِ الْقَلِيلَةِ الْغَانِيَةِ
 هِيَ الدُّنْيَا أَقْلُ مِنَ الْقَلِيلِ وَعَاشِقُهَا أَذْلُ مِنَ الذَّلِيلِ
 تُصَمُّ بِسِحْرِهَا قَوْمًا وَتُعْمَى فُهُمٌ مُتَحِيرُونَ بِلَا دَلِيلِ
 وَيَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَذِلُّ نَفْسَهُ بِالطَّمَعِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ ، وَيَتَحَرَّزَ عَمَّا فِيهِ مَذَلَّةُ
 الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ، وَيَكُونَ مُتَوَاضِعًا ، وَالتَّوَاضُّعُ بَيْنَ التَّكْبَرِ وَالْمَذَلَّةِ وَالْعِفَّةِ ،

وَيُعَرِّفُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ

أَتَشَدَّنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الْأَسْتَاذُ رُكْنُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُ بِالْأَدِيبِ
الْمُخْتَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ :

إِنَّ التَّوَّاضِعَ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِي وَبِهِ التَّقِيُّ إِلَى الْمَعَالِي يَرْتَقِي
وَمِنَ الْعَجَائِبِ عَجَبٌ مِنْ هُوَ جَاهِلٌ فِي حَالِهِ أَهْوُ السَّعِيدِ أَمْ الشَّقِي
أَمْ كَيْفَ يَخْتَمُ عُمُرُهُ أَوْ رُوحُهُ يَوْمَ النَّوَى مُتَسَفِّلٌ أَوْ مُرْتَقِي
وَالْكِبَرِيَاءُ لِرَبِّنَا صِفَةٌ بِهِ مَخْصُوصَةٌ فَتَجَنَّبْنَاهَا وَاتَّقِي

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِأَصْحَابِهِ : عَظُّوا عَمَّا تَكُمُ ، وَاسْمَعُوا أَكَاثِمَكُمْ ^(١)
وَأَمَّا قَالَ ذَلِكَ لَثَلَا يَسْتَخَفُّ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ . وَيَبْنِي لَطَالِبُ الْعِلْمِ أَنْ يَحْصُلَ
عَلَى كِتَابِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو حَنِيفَةَ لِيُونُسَ بْنِ خَالِدِ السَّمْتِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ عِنْدَ الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ : يَجِدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ . وَقَدْ كَانَ أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ

(١) المقصود من هذا أنه ينبغي للتعلم أن يظهر بالمظهر الذي يكسبه الإجلال
والاحترام تعظيماً للعلم وإكباراً لشأنه .

بِرَهَانِ الْأَثْمَةِ عَلَى بَنِي أَبِي بَكْرٍ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ الْعَزِيزِ أَمَرَنِي بِكِتَابَتِهِ عِنْدَ
الرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِي وَكُتِبَتْهُ ، وَلَا بُدَّ لِلدُّرْسِ وَالْمُقْتَنَى فِي مُعَامَلَاتِ النَّاسِ مِنْهُ

(فصل في اختيار العلم والاستاذ والشريك والنيات)

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ ^(١) وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ
دِينِهِ فِي الْحَالِ . ثُمَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمَالِ ، فَيُقَدِّمُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَيَعْرِفُ
اللَّهُ تَعَالَى بِالدَّلِيلِ ، فَإِنْ إِيْمَانُ الْمُقْلِدِ وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا عِنْدَنَا لَكِنْ يَكُونُ أَتَمًّا
بِتَرْكِ الْأَسْتِدْلَالِ ^(٢) وَيَخْتَارُ الْعَتِيقَ ^(٣) دُونَ الْمُحَدَّثَاتِ قَالُوا : عَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ

(١) أحسن كل علم ما كان من جوهره وصريحه ، وخلص من المناقشات
والخلاقات . قال الشاعر :

ما حوى العلم جميعاً أحد لا ، ولو مارسه ألف سنة
إنما العلم بعيد غوره نخذوا من كل علم أحسنه

(٢) أى معرفة الدليل . وأفضل الأدلة في ذلك ما كان فطرياً بسيطاً كذلك
الدليل الناصع الذى قاله الأعرابي في لهجة قوية صريحة : البعرة تدل على البعير
والأثر يدل على المسير ، فأرض ذات فجاج ، وسما ذات أبراج ، أفلا تدل
على العلى القدير ؟

(٣) يريد بالعتيق ماتم الاتفاق عليه بعد أن قام البرهان القاطع على صحته ، ويريد
بالحديث ما يزال الخلاف فيه محتوماً ولم تنفك أدلة الآراء المتصادمة فيه ينقض

وَأَيَّامُكُمُ وَالْمُحَدَّثَاتِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ أَنْقِرَاضِ
الْأَكْبَرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ يُبْعَدُ الطَّالِبَ عَنِ الْفَقْهِ ، وَيُضِيعُ الْعُمَرَ ، وَيُورِثُ
الْوَحْشَةَ وَالْمَدَاوَةَ وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ^(١) وَأَرْتَفَاعِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ
كَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ ^(٢) وَأَمَّا اخْتِيارُ الْأَسْتَاذِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَعْلَمُ
وَالْأَوْعَى وَالْأَسَنُّ ، كَمَا اخْتَارَ أَبُو حَنِيفَةَ حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ
التَّامْلِ وَالتَّفَكُّرِ وَقَالَ : وَجَدْتُهُ شَيْخًا وَقُورًا حَلِيمًا صَبُورًا . وَقَالَ : ثَبَتَ عِنْدَ
حَمَادِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَنِمَيْتُ . قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَمِعْتُ حَكِيمًا مِنْ حُكَمَاءِ سَمَرْقَنْدَ يَقُولُ
إِنْ وَاحِدًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ شَاوَرَنِي فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الذَّهَابِ
إِلَى بُخَارَى لِطَلَبِ الْعِلْمِ - وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُشَاوَرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ

بعضها بعضا ، وذلك لأنه لا ينبغي للتعلم أن يعتقد شيئا قبل أن يقوم البرهان على صحته
(١) أشرط جمع شرط بفتح الشين والراء العلامة . أى علامات يوم القيامة
(٢) يشير إلى ما رواه الديلمي عن ابن مسعود أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « تَعْلَمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يَفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ
وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّطَعُّعَ وَالتَّبَدُّعَ وَالتَّعَمُّقَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ ،

تَعَالَى أَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَظُنُّ مِنْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَمْرٌ بِالْمُشَاوَرَةِ وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ حَتَّى حَوَائِجِ الْبَيْتِ قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : مَا هَلَكَ أَمْرٌ عَنْ مَشُورَةٍ وَقِيلَ : النَّاسُ رَجُلٌ وَنِصْفُ رَجُلٍ وَلَا شَيْءَ ، قَالَ رَجُلٌ مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ وَيُشَاوِرُ ، وَنِصْفُ الرَّجُلِ مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ ، وَلَكِنْ لَا يُشَاوِرُ أَوْ يُشَاوِرُ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ ، وَلَا شَيْءَ مَنْ لَا رَأْيَ لَهُ وَلَا يُشَاوِرُ . قَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ : شَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى - وَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ أَعْلَى الْأُمُورِ وَأَصْعَبِهَا فَكَانَتِ الْمُشَاوَرَةُ فِيهِ أَمًّا وَأَوْجَبَ (١) - قَالَ الْحَكِيمُ : إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى بُحَارَى لَا تَعْجَلْ فِي الْاِخْتِلَافِ (٢) إِلَى الْأُتَمَّةِ وَأَمْكُثْ شَهْرَيْنِ حَتَّى تَتَأَمَّلَ وَتَخْتَارَ أَسَازًا ،

(١) ما بين الشرطين ليس من كلام الحكم بل من كلام المؤلف ساقه هنا لبيان أهمية المشورة

(٢) الاختلاف إلى الأئمة هو التردد على مجالسهم لأخذ العلم عنهم .

(٢ - تعليم)

فقط
الشيء
الذي
هو
العلم
الذي
هو
العلم
الذي
هو
العلم

فَإِنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى عَالِمٍ وَبَدَأْتَ بِالسَّبْقِ (١) عِنْدَهُ رُبَّمَا لَا يُعْجِبُكَ دَرُسُهُ
فَتَتْرُكُهُ وَتَذْهَبَ إِلَى آخَرَ فَلَا يُبَارِكُ لَكَ فِي التَّعَلُّمِ ، فَتَأْمَلُ شَهْرَيْنِ فِي اخْتِيَارِ
الْأُسْتَاذِ وَشَاوِرَ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ إِلَى تَرْكِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ فَتُثَبَّتَ عِنْدَهُ حَتَّى
يَكُونَ تَعَلُّمُكَ مُبَارَكًا وَتَنْتَفِعَ بِعِلْمِكَ كَثِيرًا . وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ وَالثَّبَاتَ
أَصْلُ كَثِيرٍ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَلَكِنَّهُ عَزِيزٌ كَمَا قِيلَ :

لِكُلِّ إِلَى شَأْنٍ الْعُلَا حَرَكَاتٌ وَلَكِنْ عَزِيزٌ فِي الرِّجَالِ ثَبَاتٌ

قِيلَ : الشَّجَاعَةُ ، صَبْرٌ سَاعَةً ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَثْبُتَ وَيَصْبِرَ عَلَى
أُسْتَاذٍ وَعَلَى كِتَابٍ حَتَّى لَا يَتْرُكُهُ أَبْتَرًا (٢) وَعَلَى فَنٍّ حَتَّى لَا يَشْتَغَلَ بِفَنٍّ آخَرَ
قَبْلَ أَنْ يُتِمَّنَ الْأَوَّلَ ، وَعَلَى بَلَدٍ حَتَّى لَا يَنْتَقِلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ
فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَفَرِّقُ الْأُمُورَ وَيَشْغُلُ الْقَلْبَ ، وَيُضَيِّعُ الْأَوْقَاتَ ، وَيُؤْذِي
الْمُعَلِّمَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَصْبِرَ عَمَّا تُرِيدُهُ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) بدأت بالسبق عنده : أى بدأت بأخذ العلم عنه قبل التأمل وحسن الاختيار .
(٢) أبتر : ناقص .

إِنَّ الْهَوَىٰ لَهُوُ الْهَوَانِ بِعَيْنِهِ وَصَرِيحُ كُلِّ هَوَىٰ صَرِيحُ هَوَانٍ
وَيَصْبِرُ عَلَى الْمَحْنِ وَالْبَلِيَّاتِ فَقَدْ قِيلَ : خَزَانُ الْمُنَنِ عَلَى قَنَاطِرِ الْمَحْنِ .
وَأُنْشِدْتُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

أَلَا لَاتَسْأَلِ الْعِلْمَ إِلَّا بَسْتَهُ سَأْنِيكَ عَنْ تَجْمُوعِهَا بَيَانَ
ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ ، وَأَصْطِبَارٍ ، وَبُلْغَةٍ (١) وَإِرْشَادُ اسْتِاذٍ ، وَطُولُ زَمَانٍ
وَأَمَّا اخْتِيَارُ الشَّرِيكِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْمَجْدُ وَالْوَرَعُ وَصَاحِبَ الطَّبَعِ
الْمُسْتَقِيمِ ، وَيَفِرَّ مِنَ الْكَسْلَانِ وَالْمُعْطَلِّ وَالْمِكْثَارِ وَالْمُقْسِدِ وَالْفَتَانِ (٢)

قال الشاعر :

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي (٣)

(١) البلغة : ما يتبلغ به من العيش

(٢) المكثار : كثير الكلام ، والفتان : هو من يثير الفتن والمنازعات بين الناس

(٣) الذي أعرفه من رواية هذا الشعر هو قوله :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الآردى فتردى مع الردى

فَإِنْ كَانَ ذَا شَرِّ جَنَابُهُ سُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارِنُهُ تَهْتَدِي
وَأَنْشَدْتُ :

لَا تَصْحَبِ الْكِسْلَانَ فِي حَالَاتِهِ كَمْ صَالِحٍ بَفْسَادٍ آخَرَ يَفْسُدُ
عَدَوَى الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةً كَالْجَمْرِ يَوْضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَخمدُ
وقال صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ
أَبَوْهُ يَهُودًا أَوْ نَصْرَانًا أَوْ مَجَسَّسًا » الْحَدِيثُ . وَيُقَالُ فِي الْحِكْمَةِ بِالْفَارِسِيَّةِ
يَارِبْدُ بَدْرٌ يَرْدَا زَ مَارِبْدُ حَقَّ ذَاتِ بَاكَ اللَّهُ الصَّمَدُ
يَارِبْدُ آرد ترا سوئی جمیم يَارَنِيكو گير تا يابی نعيم^(١)
وقيل :

إِنْ كُنْتَ تَبْنِي الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبِ

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
ومن هذا المعنى ما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « اخْتَبَرُوا النَّاسَ بِإِخْوَانِهِمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَخَادِنُ مَنْ يَعْجِبُهُ نَحْوُهُ ، أَيْ مِنْهُجُهُ
وَطَرِيقَتُهُ (١) جاء في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل لهذا الكتاب يانا
لمعنى هذا الشعر الفارسي : يعني أن المصاحب السوء أسوأ من الحبة السوداء
وأكثر منها ضرراً .

فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب (١)

(فصل في تعظيم العلم وأهله)

اعلم أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله ،
وتعظيم الاستاذ وتوقيره ، فقد قيل : ما وصل من وصل إلا بالحرمة (٢)
وما سقط من سقط إلا بترك الحرمة . وقيل : الحرمة خير من الطاعة .
ألا ترى أن الإنسان لا يكفر بالمعصية وإنما يكفر باستخفافها وبترك
الحرمة ، ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم . قال على كرم الله وجهه : أنا عبد
من على حرقاً واحداً ، إن شاء باع ، وإن شاء أعتق ، وإن شاء استرق .
وقد أنشدت في ذلك شعرا :

(١) فاعتبر الأرض بأسمائها : يمكن أن يقال إن المراد بأسمائها الأسماء التي
تطلق عليها : فكلمة ضيعة تدل على أنها أرض ذات زرع وضرع ، وكلمة حديقة
تدل على أنها ذات أشجار وثمار . . . ويمكن أن يقال إن المراد بأسمائها أسماء
مساكنها : فإذا شاعت بينهم أسماء صخر وحجر والقارظ ودارم دل ذلك على
أنها أرض جبلية يكثر فيها شجر القارظ والدارم ، وإذا شاع فيها أسماء أسد
وثعلب وكلب أو كلاب مثلا دل ذلك على أن هذه الحيوانات تكثر فيها .
(٢) الحرمة : المهابة والتعظيم .

رَأَيْتَ أَحَقَّ الْحَقِّ حَقَّ الْمُعَلِّمِ وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
لَقَدْ حَقَّ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ كَرَامَةٌ لِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَلْفِ دِرْهَمٍ

فَإِنَّ مَنْ عَلَّمَكَ حَرْفًا مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَبُوكَ فِي الدِّينِ . وَكَانَ
أَسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ سَدِيدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : قَالَ
مُشَاجِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ابْنُهُ عَالِمًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَرُاعِيَ
الْغُرَبَاءَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَيَكْرِمَهُمْ وَيَطْعَمَهُمْ وَيَعْظُمَهُمْ وَيُعْطِيَهُمْ شَيْئًا ، فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ ابْنُهُ عَالِمًا كَانَ حَفِيدَهُ عَالِمًا . وَمَنْ تَوَقَّرَ الْمُعَلِّمُ الْأَيْمَشِيَّ أَمَامَهُ ،
وَلَا يَجْلِسَ مَكَانَهُ ، وَلَا يَبْتَدِئَ بِالْكَلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذَنُ ، وَلَا يُكْثِرُ الْكَلَامَ
عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذَنُ ، وَلَا يَسْأَلُ شَيْئًا عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ ^(١) ، وَيُرَاعِي الْوَقْتَ وَلَا يَدُقُّ
الْبَابَ بَلْ يَصْبِرُ حَتَّى يَخْرُجَ

وَفِي الْجُمْلَةِ يُطْلَبُ رِضَاُهُ ، وَيَحْتَنَبُ سُخْطُهُ ، وَيُمْتَلِ أَمْرُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ
اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) الملائكة : الضجر والسأم . ويراعي الوقت : أي لا يفعل شيئًا إلا في الوقت
المناسب له .

وَالسَّلَامُ : «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَذْهَبُ دِينَهُ لِدُنْيَا غَيْرِهِ»

وَمَنْ تَوَقِيرُهُ تَوَقِيرُ أَوْلَادِهِ وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَكَانَ أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ
بُرْهَانَ الدِّينِ صَاحِبُ الْهَدَايَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَحْكِي أَنَّ وَاحِدًا مِنْ كِبَارِ
أَثَمَةِ بُخَارَى كَانَ يَجْلِسُ مَجْلِسَ الدَّرْسِ وَكَانَ يَقُومُ فِي خِلَالِ الدَّرْسِ أَحْيَانًا
فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ ابْنَ أَسْتَاذِي يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فِي السُّكَّةِ وَيَبْجِي
أَحْيَانًا إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ أَقُومُ لَهُ تَعْظِيمًا لِأَسْتَاذِي ، وَكَانَ الْقَاضِي
الْإِمَامُ نَفَرُ الدِّينِ الْأَرَسَابَنْدِي رَئِيسُ الْأَثَمَةِ فِي مَرَوْ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ
يَحْتَرِمُهُ غَايَةَ الْاحْتِرَامِ ، وَيَقُولُ : لِمَا وَجَدْتُ فِي هَذَا الْمَنْصَبِ بِخِدْمَةِ الْأَسْتَاذِ
فَإِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ الْأَسْتَاذَ الْقَاضِيَ الْإِمَامَ أَبَا بَرِيدٍ الدُّبُوسِيَّ ، وَكُنْتُ أَخْدُمُهُ
وَاطْبُخُ طَعَامَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا آكُلُ مِنْهُ شَيْئًا . وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ
شَمْسُ الْأَثَمَةِ الْحُلَوَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ بُخَارَى وَسَكَنَ فِي بَعْضِ الْقُرَى
أَيَّامًا لِحَادَثَةِ وَقَعَتْ لَهُ ، وَقَدْ زَارَهُ تَلَامِيذُهُ غَيْرُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْقَاضِي شَمْسِ
الْأَثَمَةِ الزَّرَنْجِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ لَهُ حِينَ لَقِيَهُ : لِمَ لَمْ تَرْزُقْ ؟ فَقَالَ لَهُ :

كُنْتُ مَشْغُولًا بِخِدْمَةِ الْوَالِدَةِ ، فَقَالَ تَرْزُقُ الْعُمَرَ ، وَلَا تَرْزُقُ رَوْتِقَ الدَّرْسِ ،
وَكَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ الْقُرَى وَلَمْ يَنْتَظِمْ لَهُ الدَّرْسُ .
فَمَنْ تَأَذَّى مِنْهُ أَسَازُهُ يُحْرَمُ بَرَكَةُ الْعِلْمِ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا قَلِيلًا

إِنَّ الْمُعَلِّمَ وَالطَّيِّبَ كِلَاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا
فَاصْبِرْ لِدَانِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيبُهُ وَأَقْنَعْ بِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا
وَحَكِي أَنَّ الْخَلِيفَةَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بَعَثَ ابْنَهُ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ لِيُعَلِّمَهُ
الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ، فَرَأَاهُ يَوْمًا يَتَوَضَّأُ وَيَغْسِلُ رِجْلَهُ وَأَبْنُ الْخَلِيفَةِ يَصُبُّ الْمَاءَ
عَلَى رِجْلِهِ ، فَعَاتَبَ الْأَصْمَعِيُّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : إِمَّا بَعَثْتَهُ إِلَيْكَ لِيُعَلِّمَهُ وَتُؤَدِّبَهُ
فَلَسَاذَا لَمْ تَأْمُرْهُ بِأَنْ يَصُبَّ الْمَاءَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ وَيَغْسِلَ بِالْأُخْرَى رِجْلَكَ ؟
وَمِنْ تَعْظِيمِ الْمُعَلِّمِ تَعْظِيمُ الْكِتَابِ ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّا يَأْخُذَ
الْكِتَابَ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ

وَحَكِي عَنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الْأَثَمَةِ الْحُلَوَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : إِمَّا

نَلَتْ هَذَا الْعِلْمَ بِالتَّعْظِيمِ ، فَإِنِّي مَا أَخَذْتُ الْكَاعْدَ (١) إِلَّا بِالطَّهَارَةِ . وَالشَّيْخُ
 الْإِمَامُ شَمْسُ الْأُئِمَّةِ السَّرْحِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ سَمْبُطُونًا (٢) وَكَانَ
 يُكْرَرُ (٣) فِي لَيْلَةٍ قَوَّضًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُكْرَرُ
 إِلَّا بِالطَّهَارَةِ وَهَذَا لِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ، وَالْوُضُوءَ نُورٌ ، فَيَزِدَادُ نُورُ الْعِلْمِ بِهِ .
 وَمِنَ التَّعْظِيمِ الْوَاجِبُ الْأَيْدُ رِجْلُهُ إِلَى الْكِتَابِ ، وَيَضَعُ كُتُبَ التَّفْسِيرِ
 فَوْقَ سَائِرِ الْكُتُبِ تَعْظِيمًا ، وَلَا يَضَعُ عَلَى الْكِتَابِ شَيْئًا آخَرَ ، وَكَانَ
 أَسَاتِذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرَهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكِي عَنْ شَيْخٍ مِنَ
 الْمَشَائِخِ أَنَّ قَبْعَهَا كَانَ وَضَعَ الْمُجَبَّرَةَ عَلَى الْكِتَابِ فَقَالَ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ :
 « بَرِنَابِي (٤) » وَكَانَ أَسَاتِذَنَا الْقَاضِي الْإِمَامُ الْأَجَلُّ نَفَرُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُ
 بِقَاضِيخَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : إِنْ لَمْ يَرُدْ بِذَلِكَ الْأَسْتِخْفَافُ فَلَا بَأْسَ

(١) الكاعد بفتح النون : القراطس

(٢) المبطون هو من يشنكى بطنه (٣) يريد مذاكرة العلم

(٤) في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل أن معنى هذه الكلمة : لانجد النفع

من عليك .

لعلكم تعلمون

به، والأولى أن يتحرز عنه، ومن التعظيم الواجب أن يجود كتابة الكتاب، ولا يقرمط^(١)، ويترك الحاشية إلا عند الضرورة. ورأى أبو حنيفة رحمه الله تعالى كتاباً يقرمط في الكتابة. فقال: لم تقرمط خطك إن عشت تدم، وإن مت تشتم. يعني إذا شئت وضعف بصرك ندمت على ذلك.

وحكى عن الشيخ الإمام مجد الدين السرخسي^(٢) أنه قال: ما قرمطنا إلا ندماً، وما انتخبنا إلا ندماً، وما لم نقابل إلا ندماً^(٣)، وينبغي أن يكون تقطيع الكتاب مريباً فإنه تقطيع أبي حنيفة رحمه الله وهو أيسر إلى الرفع والوضع والمطالعة، وينبغي ألا يكون في الكتاب شيء من الخثرة فإنها

(١) يقرمط: يدقق الكتابة ويصفرها

(٢) في نسخة أخرى: الشيخ الإمام محمد مجد الدين السرخسي

(٣) ما انتخبنا: لخصنا، أي ما تركنا شيئاً إلا احتجنا إلى ما تركناه ووددنا لو كان مامناً مفصلاً مترسماً فيه. وما لم نقابل: أي ما قرمطنا في المراجعة ومقابلة النسخة المكتوبة حديثاً على الأخرى المصححة إلا ندماً لثورتنا على أخطاء وأغلاط في النسخة الحديثة.

صَنِيعُ الْفَلَاسِفَةِ لَا صَنِيعُ السَّلَفِ : وَمِنْ مَشَائِخَتَنَا مَنْ كَرِهَ اسْتِمَالَ
الْمُرَكَّبِ (١) الْآخِرِ . وَمِنْ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ تَعْظِيمُ الشُّرَكَاءِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالدَّرْسِ
وَمَنْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ . وَالتَّمَلُّقُ (٢) مَذْمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَمَلَّقَ
لِاسْتِاذِمَوْشُرَكَائِهِ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ ، وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَمَعَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ
بِالتَّعْظِيمِ وَالْحُرْمَةِ ، وَإِنْ سَمِعَ الْمَسْئَلَةَ الْوَاحِدَةَ أَوِ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ أَلْفَ مَرَّةٍ
قِيلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ تَعْظِيمُهُ بَعْدَ أَلْفِ مَرَّةٍ كَتَعْظِيمِهِ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ ، فَلَيْسَ بِأَهْلٍ
لِلْعِلْمِ وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ الْأَخْتَارِ نَوْعَ عِلْمٍ بِنَفْسِهِ بَلْ يَفُوضُ أَمْرَهُ إِلَى الْأُسْتَاذِ
فَإِنَّ الْأُسْتَاذَ قَدْ حَصَلَ لَهُ التَّجَارِبُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ أَعْرَفَ بِمَا يَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ
وَمَا يَلِيقُ بِطَبِيعَتِهِ . وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ الْأُسْتَاذُ بَرُهَانُ الدِّينِ يَقُولُ
كَانَ طَلَبَةُ الْعِلْمِ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَفُوضُونَ أُمُورَهُمْ فِي التَّعَلُّمِ إِلَى أُسْتَاذِهِمْ ،
فَكَانُوا يَصِلُونَ إِلَى مَقَاصِدِهِمْ وَمُرَادِهِمْ ؛ وَالْآنَ يَخْتَارُونَ بِنَفْسِهِمْ فَلَا يَحْصُلُ

(١) المركب : المداد

(٢) التملق : التودد والتلطف . والتملق المذموم هو المتكلف المصطنع استجلاباً
لفائدة مادية لأنه حينئذ يدل على الضعف والمهانة والصغار .

مَقْصُودُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، وَكَانَ يُحْكِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى كَانَ بَدَأَ بِكِتَابِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى : أَذْهَبَ وَتَعَلَّمَ عِلْمَ الْحَدِيثِ . لَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ الْيَقِينُ بَطْنُهُ
 فَطَلَبَ عِلْمَ الْحَدِيثِ فَصَارَ فِيهِ مُقَدِّمًا عَلَى جَمِيعِ أَيْمَةِ الْحَدِيثِ . وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ
 الْعِلْمِ أَلَّا يَجْلِسَ قَرِيبًا مِنَ الْأُسْتَاذِ عِنْدَ السَّبْقِ ^(١) بغير ضرورة ، بَلْ يَنْبَغِي
 أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُسْتَاذِ قَدْرُ الْقَوْسِ ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى التَّعْظِيمِ . وَيَنْبَغِي
 لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ ، فَإِنَّهَا كَلَابٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَقَدْ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ
 صُورَةٌ . وَإِنَّمَا يَتَعَلَّمُ الْإِنْسَانُ بِوَسْطَةِ الْمَلِكِ ، وَالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ تُعْرِفُ
 فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ ، وَكِتَابُنَا هَذَا لَا يَحْتَمِلُ بَيَانَهَا . وَلِيَحْتَرِزَ خُصُوصًا عَنِ
 التَّكْبِيرِ قَعَّ التَّكْبِيرُ لَا يَحْتَصِلُ الْعِلْمُ . قِيلَ :

(١) السبق : استماع الدرس ، وكأنه أخذه من قوله تعالى في سورة النازعات
 « فالتسابقات سبقا » على رأى من فسره بأن الملائكة والجن كانوا يسابقون إلى
 استماع الرحي .

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالَى كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي
وقيل :

بِمَجْدِي لَا يَجِدُ كُلُّ مَجْدٍ فَهَلْ جَدَ بِلَا جِدِّ بِمَجْدِي (١)
فَكَمْ عَبْدٌ يَقُومُ مَقَامَ حَرٍّ وَكَمْ حَرٌّ يَقُومُ مَقَامَ عَبْدٍ (٢)

(فصل في الجِد والمواظبة والهمة)

ثُمَّ لَا بُدَّ مِنَ الْجِدِّ وَالْمُؤَاطَبَةِ وَالْمُلَازِمَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ فِي
الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» وَقَوْلُهُ تَعَالَى
«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ بَقْوَةٍ» وَقَدْ قِيلَ : مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَ وَجَدَ ، وَمَنْ

(١) مجدى بكسر الجيم : أى بلغت العلا باجتهادى ونشاطى فأنا عصامى . لا يجد
كل مجد : أى لم أصل إلى غرضى بسعى غيبرى واجتهاد سوى قلت عظاميا فهل
جد بفتح الجيم : حظ وبخت ، أى أن الحظ والبخت لا يفيد شيئا إذا لم يكن
هناك جد واجتهاد ، وفرض السعادة والمجد تسحق لكل الناس أو لا أكثرهم ولكن
قل منهم من ينتهزها ، فهى كالطائر يلقى فوق الرأس فالقبط التشبث يثب إليه
ويمس ، والكسول البليد يقف أمامه جامدا

(٢) يعنى أن الجِد والعمل يرفع العبيد الأذلاء إلى مقام السادة الأجداد والكسل
والخمول يحط السادة الأشراف إلى حضيض العبيد الأذلاء .

قَرَعَ الْبَابَ وَلَجَ وَلَجٌ ^(١) . وَقِيلَ : يَقْدِرُ مَا تَمَنَّى تَنَالُ مَا تَمَنَّى قِيلَ : يَحْتَاجُ
فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ إِلَى الْجِدِّ ثَلَاثَةً : الْمُتَعَلِّمُ وَالْأَسَازُ وَالْأَبُ إِنْ كَانَ فِي
الْأَحْيَاءِ أَتَشَدُّنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَسَازُ سَدِيدُ الدِّينِ الشَّيرَازِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

الْجِدُّ يَدْنِي كُلُّ أَمْرِ شَابِعٍ وَالْجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ
وَأَحَقُّ خَلَقَ اللَّهُ بِالْمِ أَمْرًا ذُو هَمَّةٍ يُبْلَى بِعَيْشٍ ضَيِّقٍ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ بُوْسُ اللَّيْبِ وَطَيْبُ عَيْشٍ الْأَحَقُّ ^(٢)
لَكِنَّ مَنْ رَزَقَ الْحِجْبَى حُرْمَ النَّفْسِ ضِدَّانٍ يَفْتَرِقَانِ أَيْ تَفَرُّقٍ

(١) لَج : أَلَحَّ وَشَدَّدَ . وَلَجَ : دَخَلَ

(٢) حيث كان يجب أن يكون البيت هو النفس الطيب العيش لتفوقه بعقله
وذكائه فلما رأينا الأحق النبي هو الأكثر غنى والأطيب عيشاً عرفنا أنه هناك
قوة أخرى هي التي قلبت الأمر وعكست ما يقتضيه العقل والمنطق وتلك القوة
هي التي يسميها الشاعر حكم القضاء أي قضاء الله وحكمه . ولكن ما أحسن قول المتنبي :
ذو العقل يشقى في النعم بعقله وأخروا الجهالة في الشقاوة بنعم

وَأَنْشَدْتُ لِتَبْرِهِ :

تَمَنَيْتُ أَنْ تُنَمِّيَ فِقْهًا مُنَاطِرًا بَغِيرِ غِنَاءٍ وَالْجُنُونُ قَوْنُ
وَلَيْسَ اكْتِسَابُ الْمَالِ دُونَ مَشَقَّةٍ تَحْمِلُهَا، فَالْعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ ؟ (١)
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّحَامِ (٢)
وَلَا بُدَّ لِلطَّالِبِ مِنْ سَهْرِ اللَّيَالِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
تَرُومُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي
عَلُو الْكُتُبِ (٣) بِالْهَمِّ الْعَوَالِي وَعِزُّ الْمَرْءِ فِي سَهْرِ اللَّيَالِي

(١) أى يكون اكتساب العلم بدون مشقة مع أنه اعظم شأنًا وأصعب منالاً من المال

(٢) أى أن أعظم عيوب القادرين هو نقصهم عن بلوغ الغاية فيما يقدرُونَ عليه بسبب الإهمال والتفريط والكل

(٣) يعنى ارتفاع الشأن .

وَمَنْ رَامَ أَمَلًا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْحَالِ
تَرَكْتُ النَّوْمَ رَبِّي فِي اللَّيَالِي لِأَجْلِ رِضَاكَ بِأَمَوِي الْمَوَالِي
فَوَقَّعْتَنِي إِلَى تَحْصِيلِ عِلْمٍ وَبَلَّغْتَنِي إِلَى أَقْصَى الْمَعَالِي
وَقِيلَ : اتَّخِذِ اللَّيْلَ جَمَلًا تُدْرِكُ بِهِ أَمَلًا . قَالَ الْمُصَنِّفُ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
وَقَدْ اتَّفَقَ لِي نَظْمٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

مَنْ شَاءَ أَنْ يَحْتَوِيَ أَمَالَهُ جَمَلًا فَلْيَتَّخِذْ لَيْلَهُ فِي ذُرْكَيْهَا جَمَلًا
أَقِلَّ طَعَامَكَ كَيْ تَحْظِيَ بِهِ نَمْرًا إِنْ شِئْتَ يَا صَاحِبِي أَنْ تَبْلُغَ الْكَمَلَا (٢)
وَقِيلَ : مَنْ أَسَهَرَ نَفْسَهُ بِاللَّيْلِ ، فَقَدْ فَرَحَ قَلْبُهُ بِالنَّهَارِ ، وَلَا بَدَّ لِطَالِبِ
الْعِلْمِ مِنَ الْمَوَاطَبَةِ عَلَى الدَّرْسِ وَالتَّكْرَارِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ ، فَإِنْ مَا بَيْنَ
الْعِشَاءَيْنِ وَوَقْتُ السَّحَرِ وَقْتُ مُبَارَكٍ . قِيلَ فِي الْمَعْنَى شَعْرٌ :

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بِأَشْرِ الْوَرَعَا وَجَنِّبِ النَّوْمَ وَأَتْرُكِ الشُّبْعَا

(١) يريد نفسه

(٢) الكل يفتح الكاف والميم : الكامل ، ويريد به الكمال .

دَآوِمٌ عَلَى الدَّرْسِ لَا تُفَارِقُهُ فَالْعِلْمُ بِالدَّرْسِ قَامَ وَارْتَفَعَا
فَبَقِيَ أَيَّامَ الْحَدَاثَةِ وَعَفْوَانِ ^(١) الشَّبَابِ كَمَا قِيلَ :

بَقْدَرِ الْكَدِّ تُعْطَى مَا تُرَوِّمُ فَمَنْ رَامَ الْمُنَى لَيْلًا يَقُومُ
وَأَيَّامَ الْحَدَاثَةِ فَاعْتَنِمَهَا أَلَا إِنَّ الْحَدَاثَةَ لَا تَدُومُ

وَلَا يُجَاهِدُ نَفْسَهُ جُهْدًا ، وَلَا يُضْعِفُ النَّفْسَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عَنِ الْعَمَلِ بَلْ
يَسْتَعْمِلُ الرَّفْقَ فِي ذَلِكَ ، وَالرَّفْقُ أَصْلُ عَظِيمٍ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ . قَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : « أَلَا إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلُوا ^(٢) فِيهِ بَرَفِقٍ ،
وَلَا تُبْغِضْ ^(٣) عَلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ ^(٤) لَا أَرْضًا قَطَعَ
وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى . » وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « نَفْسُكَ مَطِيئُكَ فَارْفُقْ بِهَا . » وَلَا بُدَّ
لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ فِي الْعِلْمِ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَطِيرُ بِهِمَّتِهِ كَالطَّيْرِ ،
يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ .

(١) عفوان الشباب : قوته وحده (٢) أوغلوا : اذهبوا فيه وتعمقوا

(٣) تبغض على نفسك : تثقل وتصب

(٤) المنبت : المنقطع عن السفر لإجهاده مطبته حتى نفقت .

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَنَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ (١)
وَالرَّأْسُ (٢) فِي تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْجَدُّ وَالْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ ، فَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ حَفِظَ
جَمِيعُ كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاقْتَرَنَ بِذَلِكَ الْجَدُّ وَالْوِزَاطَةُ ،
فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَحْفَظُ أَكْثَرَهَا أَوْ نِصْفَهَا . فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ ، وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ جَدٌّ ، أَوْ كَانَ لَهُ جَدٌّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ ، فَلَا يَحْصُلُ لَهُ عِلْمٌ إِلَّا
الْقَلِيلُ . وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَجَلُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ النَّيْسَابُورِيُّ رَحِمَهُ
اللَّهُ فِي كِتَابِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ لَيْسَتْوَلِي

(١) العزائم: جمع عزيم وهي الإرادة والتصميم . والمعنى أن العزائم والمكارم
تكون بحسب أقدار فاعليها ؛ فإذا كانت أقدار فاعليها عظيمة كانت هي عظيمة
أيضاً وإذا كانت أقدارهم صغيرة كانت عزائمهم ومكارمهم صغيرة أيضاً لأن
ضعيف الهمة صغير النفس يرى الأمور الصغيرة كبيرة عظيمة . أما على الهمة ،
كبير النفس ، فإنه يرى الأمور صغيرة وصعابها سهلة هينة
(٢) الرأس في تحصيل الأشياء : يعني الأصل والأساس .

عَلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ شَاوَرَ الْحُكَمَاءَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : كَيْفَ أَسَافِرُ لِهَذَا
الْقَدَرِ مِنَ الْمُلْكِ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ فَإِنَّهُ وَمُلْكُ الدُّنْيَا أَمْرٌ حَقِيرٌ ، فَلَيْسَ هَذَا
مِنْ عُلُوِّ الْهَمَّةِ . فَقَالَ الْحُكَمَاءُ : سَافِرْ لِيَحْصُلَ لَكَ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
قَالَ : هَذَا أَحْسَنُ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا ^(١) . وَقِيلَ :

فَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَأَسْتَدِمَّهُ قَمَا صَلَّى عَصَاكَ كَسْتَدِيم ^(٢)
قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لِأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى : كُنْتَ بَلِيدًا فَأَخْرَجَتْكَ
الْمَوَاطِنَةُ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَسَلَ فَإِنَّهُ شَوْمٌ وَأَفَّةٌ عَظِيمَةٌ . قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ
أَبُو نَصْرِ الصَّفَّارُ الْأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

يَأْتِنَفْسُ يَأْتِنَفْسُ لَا تُرْخَى عَنِ الْعَمَلِ فِي الْبِرِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَهَلٍ
لَكُلِّ ذِي عَمَلٍ فِي الْخَيْرِ مُقْتَبِطٌ وَفِي بَلَاءٍ وَشَوْمٍ كُلِّ ذِي كَسَلٍ

(١) السفاف : الردى ، الحقيق

(٢) صلى عَصَاكَ : أى لينها بالنار ليسهل تقويمها : والمعنى أن خير وسائل تقويم
المعوج وإصلاح الفاسد ، الاستدامة والاستمرار .

قَالَ الْمُصَنَّفُ وَقَدْ اتَّفَقَ لِي فِي هَذَا الْمَعْنَى :

دَعَى نَفْسِي التَّكَاسَلَ وَالتَّوَانِي وَإِلَّا فَأَتَيْتُ فِي ذَا (١) الْهُوَانِ
فَلَمْ أَرَ لِلْكَسَالِ الْحِظَّ يُعْطَى سِوَى نَدَمٍ وَحَرَمَانِ الْأَمَانِ
وَقِيلَ :

كَمْ مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ عَجْزٍ وَكَمْ نَدَمٍ جَمَّ تَوَلَّدَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَسَلٍ (٢)

إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ فِي الْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ فَأَعْلَمْتُ ، وَمَا قَدْ شَذَّ عَنْكَ سَلٍ (٣)

وَقَدْ قِيلَ : الْكَسَلُ مِنْ قَلَّةِ التَّأَمُّلِ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ ، فَيَنْبَغِي لِلتَّعَلُّمِ
أَنْ يَبْعَثَ نَفْسَهُ عَلَى التَّحْصِيلِ وَالْجِدِّ وَالْمُواظَبَةِ بِالتَّأَمُّلِ فِي فَضَائِلِ الْعِلْمِ ،
فَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى بِيَقَاءِ الْمَعْلُومَاتِ ، وَالْمَالُ يَفْنَى ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ

(١) ذَا الْهُوَانِ : أَيْ هَذَا الْهُوَانِ

(٢) الْمُرَادُ بِالْحَيَاءِ هُنَا الْحُجْلُ ، يَعْنِي أَنَّ الْكَسَلَ كَثِيرًا مَا حُجِّلَ الْإِنْسَانُ بِسَبِيهِ
وَوَقَفَ عَاجِزًا نَادِمًا

(٣) إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ : أَيْ تَبَعْدُ عَنِ الْكَسَلِ ، شَذَّ عَنْكَ : أَيْ تَبَعْدُ عَنْكَ وَصَعِبَ عَلَيْكَ
أَيْ لَا تَتَوَانُ وَلَا تَنْفَرُطُ فِي الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ حَتَّى تَعَثُرَ عَلَى مَا يَزِيلُ مَا عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ
وَشَكُوكٍ ، فَالَّذِي اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْلَمَهُ بِنَفْسِكَ أَكْفَيْتَ بِهِ ، وَالَّذِي صَعِبَ عَلَيْكَ
الْإِهْتِدَاءُ إِلَى الصَّوَابِ فِيهِ فَاسْأَلْ عَنْهُ أَهْلَ الْعِلْمِ بِهِ .

أَبْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْأَعْدَاءِ مَالٌ
فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى لَا يَزَالُ

وَالْعِلْمُ النَّافِعُ يَحْضُلُ بِهِ حُسْنُ الذِّكْرِ وَيَبْقَى ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَإِنَّهُ حَيَاةٌ
أَبَدِيَّةٌ . أَنشَدَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ ظَهِيرُ الدِّينِ مُفَتًى الْأَئِمَّةِ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ
الْمَعْرُوفُ بِالْمُرْغِينَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الْجَاهِلُونَ قَمَوْنَ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَالْعَالِمُونَ وَإِنْ مَاتُوا فَأَحْيَاءُ (١)
وَأَنشَدَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرْهَانُ الدِّينِ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لَأَهْلِهِ فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ
وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ وَلَيْسَ لَهُ حِينَ النُّشُورِ نُشُورُ (٢)

(١) مَوْتَى : جمع ميت ، والفاء على تقدير أما في الكلام : أى أما الجاهلون
فهم مَوْتَى .

(٢) النُّشُورُ : البعث ، يقال : يوم النُّشُورِ أى يوم البعث .

وقال غيره :

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ^(١)
وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى التُّرَى يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ^(٢)

وقال آخر :

حَيَاةُ الْقَلْبِ عِلْمٌ فَاعْتَنِهِ وَمَوْتُ الْقَلْبِ جَهْلٌ فَاجْتَنِبْهُ
وَأَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الْأَسَازُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

ذَا الْعِلْمِ أَعْلَى رُتَبَةٍ فِي الْمَرَاتِبِ وَمِنْ دُونِهِ عِزُّ الْعُلَى فِي الْمَوَاقِبِ^(٣)
فَدُو الْعِلْمِ يَبْقَى عِزُّهُ مُتَضَاعِفًا وَذُو الْجَهْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التِّيَارِبِ^(٤)

(١) رميم : بالية وفانية

(٢) الترى : التراب الندى والمقصود به هنا الأرض

(٣) المواقب جمع موكب ، وهو الجماعة السائرة ركبانا أو مشاة ، والمقصود مطلق الجماعة ، يعنى أن هذا العلم منزلته أعلى المنازل وأشرفها وكل المعالي والرياسات في الجماعات دونه في الشرف والرفعة

(٤) التيارب جمع تيرب وهو التراب ، يعنى أن المتعلم لا يزول عزه وبجده بعد وفاته بل يبقى كاملا غير منقوص ، وقد يتضاعف بما يناله في الآخرة من سعادة ونعيم . أما الجاهل فإن عزه يزول بعد دفنه تحت التراب .

فَهَبَاتٍ لَا يَرْجُو مَدَاهُ مِنْ أَرْتَقَى رُقًى وَلِي الْمُلْكِ وَالِي الْكَتَائِبِ (١)
 سَأَمَلِي عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا فِيهِ فَاسْمَعُوا فِي حَصْرٍ عَنْ ذِكْرِ كُلِّ الْمَنَاقِبِ (٢)
 هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ يَهْدِي عَنْ الْعَمَى وَذُو الْجَهْلِ مَرَّ الدَّهْرَيْنِ الْغِيَابِ (٣)
 هُوَ الذَّرْوَةُ الشَّمَاءُ تَحْمِي مِنَ التَّجَا إِلَيْهَا وَيَمِشِي آمَنًا فِي النَّوَابِ (٤)
 بِهِ يَنْتَجِي وَالنَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ بِهِ يَرْتَجِي وَالرُّوحُ بَيْنَ التَّرَائِبِ (٥)
 بِهِ يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَاحٍ عَاصِيًا إِلَى دَرَكِ النَّيْرَانِ شَرِّ الْعَوَاقِبِ (٦)

(١) مداه : غايته ، والى : حاكم ، الكتائب : جمع كتيبة وهي الفرقة العظيمة من الجنود يعني أن الملوك والسلاطين أصحاب الجنود العديدة والجيوش الكبيرة لا يلفون من العز والمجد مبلغ العلماء والحكام.

(٢) حصر بفتح الحاء والصاد : مجزوعى . المناقب جمع منقبة : المفخرة والفضيلة

(٣) مر الدهر : مدى الدهر ، الغياب جمع غيب : الظلام الشديد

(٤) الذروة : ذروة كل شيء أعلاه ذروة الجبل فته ، والشماء : المرتفعة

العالية ، أى أن العلم ينجي صاحبه من المهالك ، ويحميه من المعاطب كما تحمي الذروة العالية من التجأ إليها وتنجي من اعتصم بها (٥) ينتجى : يطلب النجاة ، الترائب :

عظام الصدر ، يعنى أن العلم ينجي من الضلال في الحياة الدنيا ومن العذاب في الآخرة ويرجو المرء حين تحضره الوفاة أن يغفر الله له ذنوبه

(٦) يشفع الإنسان من راح عاصيا : أى يضم العالم بعض حسناته إلى حسنات

فَمَنْ رَامَهُ رَامَ الْمَارِبِ كُلَّهَا وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلَّ الْمَطَالِبِ (١)
هُوَ الْمَنْصَبُ الْعَالِي فَيَا صَاحِبَ الْحِجَا إِذَا نَلْتَهُ هَوْنٌ بَقِيَتْ الْمَنَاصِبُ (٢)
فَإِنْ قَاتَلَكَ الدُّنْيَا وَطِيبُ نَعِيمِهَا فَتَمَضُّ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَاقِبِ
وَأَشَدُّتْ لِبَعْضِهِمْ :

إِذَا مَا عَزَّزَ ذُو عِلْمٍ بَعْلِمٍ فَعِلْمُ الْفَقْهِ أَوْلَى بِاعْتِرَازِ
فَكَمْ طِيبٍ يَفُوحٌ وَلَا كَسَكٍ وَكَمْ طَيْرٍ يَطِيرُ وَلَا كِبَازِي (٣)

من مات عاصيا ، فترجع حسناته على سيئاته فيفقر له الله ويعفو عنه . والدرك جمع دركة وهي المنزلة . فهي في الهبوط تقابل الدرجة في الصعود . والمواقب جمع عاقبة وهي النهاية . وشر بالجر صفة للثيران .

- (١) رامه : طلبه ، والمآرب جمع مأرب : الغرض والمطلب .
(٢) المنصب بفتح الميم والصاد : المقام . الحجا : العقل ، هون بقوت المناصب : اعتبر فوات المناصب الأخرى وضياعها والحرمان منها أمرا هينا لا يؤبه له ولا يهتم به
(٢) يفوح : ينتشر . والبيت يتضمن مثلين سائرين يضرب كل منهما لبيان فضل الشيء وغيره أفضل منه : فكم طيب يفوح ولا كسك أي أن الطيب الذي تنتشر رائحته وتعطر الجو كثير ولكنه في طيب رائحته وجمال شذاه ليس كالمسك لأن المسك أطيب منه وأزكى ، وكذلك وكَمْ طير يطير ولا كَبَازِي : معناه أن البازي أقوى الطيور كلها وأشدّها طيرانا .

وَأَشَدَّتْ أَيْضًا :

الْفَقْهُ أَنْفُسُ شَيْءٍ أَنْتَ دَاخِرُهُ مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَاخِرُهُ (١)
فَاكْسِبْ لِنَفْسِكَ مَا أَصْبَحَتْ بَجْهَلُهُ فَأَوَّلُ الْعِلْمِ إِقْبَالُ وَآخِرُهُ
وَكَفَى بِلَذَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ دَاعِيًا وَبَاعِثًا لِلْعَاقِلِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ . وَقَدْ تَوَلَّدَ
الْكَسَلُ مِنْ كَثَرَةِ الْبَلْغَمِ وَالرُّطُوبَاتِ وَطَرِيقُ تَقْلِيلِهِ تَقْلِيلُ الطَّعَامِ . قِيلَ :
اتَّفَقَ سَبْعُونَ نَبِيًّا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ النَّسِيَانِ مِنْ كَثَرَةِ
الْبَلْغَمِ وَكَثَرَةِ الْبَلْغَمِ مِنْ كَثَرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ ، وَكَثَرَةُ شُرْبِ الْمَاءِ مِنْ كَثَرَةِ
الْأَكْلِ ، وَالْخُبْزُ الْيَابِسُ يَقْطَعُ الْبَلْغَمَ ؛ وَكَذَلِكَ أَكْلُ الزَّيْبِ عَلَى الرِّيقِ ،
وَلَا يُكْثَرُ مِنْهُ حَتَّى لَا يَحْتَاجَ إِلَى شُرْبِ الْمَاءِ فَيَزِيدُ الْبَلْغَمَ ، وَالسَّوَاكُ يُقَلِّلُ
الْبَلْغَمَ وَيَزِيدُ فِي الْحَفِظِ وَالْفَصَاحَةِ ، فَإِنَّهُ سَنَةٌ سَنِيَّةٌ ، وَيَزِيدُ فِي ثَوَابِ الصَّلَاةِ
وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَكَذَلِكَ الْقَيُّ يُقَلِّلُ الْبَلْغَمَ وَالرُّطُوبَاتِ ، وَطَرِيقُ تَقْيِيلِ

(١) المراد بالفقه في هذا البيت العلم مطلقاً . وداخره : أى مدخره ومقتصده ،
من يدرس العلم أى يقرأه ، ولم تدرس مفاخره أى لم تمنح أسباب غره ودواعى مجده .

الْأَكْلِ التَّأْمُلُ فِي مَنَافِعِ قَلَّةِ الْأَكْلِ ، وَهِيَ الصَّحَّةُ وَالْعِفَّةُ وَالْإِثَارُ ^(١)
وَقَدْ قِيلَ :

فَعَارُ ثُمَّ عَارُ ثُمَّ عَارُ شَقَاءُ الْمَرْءِ مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ ^(٢)
وَعَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : «ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ يَغْضِبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ» ^(٣) : الْأَكُولُ وَالْبَخِيلُ وَالْمُتَكَبِّرُ ، وَالتَّأْمُلُ ^(٤) فِي مَضَارِّ كَثْرَةِ
الْأَكْلِ وَهِيَ الْأَمْرَاضُ وَكَثَلَةُ الطَّعِيمِ . قِيلَ : الْبَطْنَةُ تَذْهَبُ الْفُطْنَةَ ^(٥)
(حِكْمَى) عَنْ جَالِينُوسٍ أَنَّهُ قَالَ : الرَّمَانُ نَفْعٌ كُلُّهُ ، وَالسَّمَكُ ضَرَرٌ كُلُّهُ ،

(١) الإِثَارُ : هُوَ اخْتِيَارُ مَنَفْعَةِ الْغَيْرِ وَمَصْلَحَتِهِ عِنْدَ تَعَارُضِهَا مَعَ مَنَفْعَةِ النَّفْسِ
وَمَصْلَحَتِهَا ، كَأِذَا كَانَ اثْنَانِ فِي حَالَةٍ عَطَشَ وَمَعَ أَحَدُهُمَا مَا يَكْفِيهِ وَحْدَهُ مِنْ
الْمَاءِ فَيَقْدِمُهُ لِرَفِيقِهِ وَيَحْرَمُ مِنْهُ نَفْسَهُ

(٢) أَيْ أَنَّ الطَّعَامَ وَحْدَهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَشْقَى الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَجَلِهِ لِأَنَّ
الْقَلِيلَ مِنْهُ يَكْفِي ، وَالَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَشْقَى الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَجَلِهِ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ
لِأَنَّهُ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ إِلَى الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ

(٣) جُرْمٌ : إِثْمٌ وَذَنْبٌ

(٤) وَالتَّأْمُلُ بِالرَّفْعِ لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى التَّأْمُلِ فِي مَنَافِعِ قَلَّةِ الْأَكْلِ

(٥) الْبَطْنَةُ بِكَسْرِ الْبَاءِ : امْتِلَاءُ الْبَطْنِ بِالْأَكْلِ ، وَالْفُطْنَةُ بِكَسْرِ الْفَاءِ :

الذِّكَاةُ وَالتِّيْقَظُ .

وَقَلِيلُ السَّمَكِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الرُّمَانِ . وَفِيهِ أَيْضًا إِتْلَافُ الْمَالِ ، وَالْأَكْلُ
فَوْقَ الشَّيْعِ ضَرَرٌ مَحْضٌ ، وَيُسْتَحَقُّ بِهِ الْعِقَابُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَالْأَكُولُ
بَغِيضٌ فِي الْقُلُوبِ ، وَطَرِيقُ قَلِيلِ الْأَكْلِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَطْعِمَةَ الدَّسِمَةَ ،
وَيَقْدَمَ فِي الْأَكْلِ الْأَلْطَفَ وَالْأَشْهَى ؛ وَلَا يَأْكُلُ مَعَ الْجِبَاعِ ، إِلَّا إِذَا
كَانَ لَهُ غَرَضٌ صَحِيحٌ فِي كَثَرَةِ الْأَكْلِ ، بِأَنْ يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ
وَالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ فَلَهُ ذَلِكَ

﴿ فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه ﴾

كَانَ أَسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقِفُ (١) بَدَءَ
السَّبْقِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَكَانَ يَرَوِي فِي ذَلِكَ حَدِيثًا ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ وَيَقُولُ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ شَيْءٍ بُدِيَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ إِلَّا
وَقَدْ تَمَّ ، وَهَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ يَرَوِي هَذَا

(١) يَقِفُ : يَحْصُرُ وَيَقْصُرُ .

الْحَدِيثَ عَنْ أَسَازَةِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْأَجَلِّ قَوَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّشِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَسَمِعْتُ مِنْ أَثَقٍ بِهِ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا يُوسُفَ الْهَمْدَانِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَقِفُ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَهَذَا لِأَنَّ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ يَوْمٌ خُلِقَ فِيهِ النُّورُ ، وَهُوَ يَوْمٌ نَحْسُ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ فَيَكُونُ مُبَارَكًا لِلْمُؤْمِنِينَ (١)

وَأَمَّا قَدْرُ السَّبْقِ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، فَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكِي عَنْ الشَّيْخِ الْقَاضِي الْإِمَامِ عَمْرِ بْنِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ الزَّرَنْجِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : قَالَ مَشَاحِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْرُ السَّبْقِ لِلْبَتْدِئِ قَدْرَ مَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ بِالرَّقْفِ ، وَيَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ كَلِمَةً حَتَّى إِذَا طَالَ السَّبْقُ وَكَثُرَ يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَيَزِيدُ بِالرَّقْفِ وَالتَّدرِجِ فَأَمَّا إِذَا طَالَ السَّبْقُ فِي الْإِبْتِدَاءِ (٢) وَاحْتِاجَ إِلَى الْإِعَادَةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، فَهُوَ

- (١) الحق أن الأيام كلها تستوى عند الله وأن التفاؤل أو التشاؤم ببعض الأيام أو الساعات ليس من الدين في شيء .
(٢) فأما إذا طال السبق في الإبتداء ، يعنى أن طول الاستماع لا ينفى أن

فِي الْإِتِّهَاءِ أَيْضًا يَكُونُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَعَادُ ذَلِكَ . وَلَا يَتْرُكُ تِلْكَ الْعَادَةَ إِلَّا بِجُحْدٍ كَثِيرٍ ، وَقَدْ قِيلَ : السَّبْقُ حَرْفٌ وَالتَّكْرَارُ أَلْفٌ ^(١) وَيَنْبَغِي أَنْ يَنْتَدِي بِشَيْءٍ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأُسْتَاذُ شَرَفُ الدِّينِ الْعَقِيلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : الصَّوَابُ عِنْدِي فِي هَذَا مَا فَعَلَهُ مَشَائِخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَخْتَارُونَ لِلْبَتْدِيِّ صَفَارَاتِ الْمَبْسُوطِ ^(٢) ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْفَهْمِ وَالضَّبْطِ ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْمَلَالَةِ وَأَكْثَرُ وَقُوعًا بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَقَ السَّبْقُ بَعْدَ الضَّبْطِ ^(٣) ، وَالْإِعَادَةُ كَثِيرًا ، فَإِنَّهُ نَافِعٌ جِدًّا ، وَلَا يَكْتَبُ الْمُتَعَلِّمُ شَيْئًا لَا يَفْهَمُهُ ، فَإِنَّهُ يُوْرِثُ كَلَالَةَ الطَّبْعِ ، وَيَذْهَبُ الْفِطْنَةُ وَيَضِيعُ أَوْقَاتُهُ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْفَهْمِ عَنِ الْأُسْتَاذِ ، أَوْ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَكَثْرَةِ

يزيد على أن يعاد البيان والشرح مرتين في الموضوع الواحد، أما إذا زاد عن ذلك فإنه يعتاد طول الاستماع وتكرار الشرح فيبطؤ فهمه ويتبلد عقله

(١) السبق حرف والتكرار ألف أى تعلم قليلا وكرر ما تعلمته كثيرا، وهذا مثل قولهم : قراءة كتاب واحد مرتين أنفع من قراءة كتابين مرة واحدة .

(٢) يعنى الكتب الصغيرة التى تتضمن خلاصات الكتب المطولة .

(٣) تعليق السبق : كتابة خلاصة الدرس وهو ما يسمى الآن « بالملخص السبورى » .

التَّكْرَارَ ، فَإِنَّهُ إِذَا قَلَّ السَّبْقُ وَكَثُرَ التَّكْرَارُ وَالتَّأَمُّلُ يُدْرِكُ وَيُفْهَمُ ، فَقَدْ
 قِيلَ حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وَفَرَيْنِ ، وَفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ
 وَفَرَيْنِ^(١) وَإِذَا تَهَاوَنَ فِي الْفَهْمِ وَلَمْ يَجْتَهِدْهُ أَوْ مَرَّتَيْنِ يَتَأَدُّ ذَلِكَ ، فَلَا يَفْهَمُ
 الْكَلَامَ الْيَسِيرَ ، فَيَتَّبِعِي إِلَّا يَتَهَاوَنَ فِي الْفَهْمِ بَلْ يَجْتَهِدُ وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى
 وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُجِيبُ مِنْ دَعَا ، وَلَا يُجِيبُ مَنْ رَجَاهُ ، أَشَدُّنَا الشَّيْخُ
 الْإِمَامُ الْأَجَلُّ قَوَامُ الدِّينِ حَمَّادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى إِمْلَاءً لِلْقَاضِي الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ السَّجَزِيِّ^(٢) فِي ذَلِكَ :

أَخْدَمَ الْعِلْمَ خِدْمَةَ الْمُسْتَفِيدِ	وَأَدَمَ دَرْسَهُ بِعَقْلِ حَمِيدٍ
وَإِذَا مَا حَفِظْتَ شَيْئًا أَعَدُّ	ثُمَّ أَكَّدَهُ غَايَةَ التَّأَكُّدِ
ثُمَّ عَلَّقَهُ كَيْ تَعُودَ إِلَيْهِ	وَالِي دَرْسِهِ عَلَى التَّائِيدِ
وَإِذَا مَا أَمَنْتَ مِنْهُ فَوَاتَا	فَاتَدَبَّ بَعْدَهُ لَشَيْءٍ جَدِيدٍ ^(٣)

(١) وفريْن مثنى وقر بكسر الواو : الحمل الثقيل .

(٢) في بعض النسخ : السرخسي (٣) فاتدب : سارع ، أى كلما توفقت

من فهم شيء وحفظه وأمنت من نسيانه ، يادر إلى تعلم غيره .

مَعَ تَكَرَّرِ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ اِعْتَنَاءَ بِشَأْنِ هَذَا الْمَرْبِدِ
 ذَاكِرِ النَّاسِ بِالْعُلُومِ لِتَحْيَا لَا تَكُنْ مِنْ أُولَى النَّهْيِ يَبْعِدِ
 إِنْ كَتَمْتَ الْعُلُومَ اُنْسَيْتَ حَتَّى لَا تَرَى غَيْرَ جَاهِلٍ وَبَلِيدِ
 ثُمَّ اُئْتِ فِي الْقِيَامَةِ نَارًا وَتَلَهَّبَتْ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (١)
 وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَذَاكِرَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُطَارَحَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ
 يَكُونَ بِالْإِنْصَافِ وَالتَّائِي وَالتَّائِلِ، وَيَتَحَرَّزُ عَنِ الشَّغَبِ وَالْغَضَبِ، فَإِنْ
 الْمُنَاطَرَةُ وَالْمَذَاكِرَةُ مُشَاوَرَةً، وَالْمُشَاوَرَةُ إِمَّا تَكُونُ لِاسْتِخْرَاجِ الصَّوَابِ
 وَذَلِكَ إِمَّا يَحْصُلُ بِالتَّائِلِ وَالتَّائِي وَالْإِنْصَافِ، وَلَا يَحْصُلُ بِالْغَضَبِ
 وَالشَّغَبِ، فَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الْإِزَامُ الْحَصْمِ فَلَا تَحِلُّ الْمُنَاطَرَةُ، وَإِمَّا تَحِلُّ
 لِإِظْهَارِ الْحَقِّ. وَالتَّمْوِيهِ وَالْحِيلَةِ فِيهَا لَا تَجُوزُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْحَصْمُ مُتَعَتِّيًا
 لَا طَالِبًا لِلْحَقِّ

(١) فِي مَذِينِ الْيَتِيمِينَ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عِلْمَ عَلِمَا
 فِكْتَمَهُ الْجَمُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَا أَتَى اللَّهَ
 أَحَدًا عَلِمًا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِثَاقَ إِلَّا بِكْتَمِهِ أَحَدًا».

وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ يَحْيَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ الْإِشْكَالُ وَلَمْ يَحْضُرْهُ
الْجَوَابُ يَقُولُ: مَا لَزِمْتُهُ لِأَزِمَ، وَأَنَا فِيهِ نَاطِرٌ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ
وَفَائِدَةُ الْمُطَارَحَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ أَقْوَى مِنْ فَائِدَةِ مُجَرَّدِ التَّكْرَارِ، لِأَنَّ فِيهَا تَكَرُّرًا
وَزِيَادَةً فَقَدْ قِيلَ: مُطَارَحَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ تَكَرُّرِ شَهْرٍ. وَلَكِنْ إِذَا كَانَ
مَعَ مُنْصِفِ سَلِيمِ الطَّبِيعَةِ. وَإِيَّاكَ وَالْمَذَاكِرَةَ مَعَ مُتَعَنِّتٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمِ الطَّبْعِ
فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ مُتَسَرِّبَةً، وَالْأَخْلَاقَ مُتَعَدِّبَةً، وَالْمُجَاوِرَةَ مُؤَثَّرَةً. وَفِي الشَّعْرِ
الَّذِي ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَوَائِدَ كَثِيرَةً وَقَدْ قِيلَ:

الْعِلْمُ مِنْ شَرْطِهِ لِمَنْ خَدَمَهُ . أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ مُتَأَمِّلًا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي دَقَائِقِ (١)
الْعُلُومِ وَيَعْتَادُ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا تُدْرِكُ الدَّقَائِقُ بِالتَّأَمُّلِ، وَلِهَذَا قِيلَ: تَأَمَّلْ تُدْرِكْ،
وَلَا بَدْ مِنْ التَّأَمُّلِ قَبْلَ الْكَلَامِ حَتَّى يَكُونَ صَوَابًا، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالسَّهْمِ

(١) دقائق العلوم جمع دقيقة: المسألة الصعبة .

فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْوِيهِ (١) بِالتَّأْمَلِ قَبْلَ الرَّمْيِ حَتَّى يَكُونَ مُصَيًّا ، قَالَ فِي أَصُولِ
الْفَقْهِ : هَذَا أَصْلٌ كَبِيرٌ وَهُوَ أَنَّ يَكُونَ كَلَامُ الْفَقِيهِ الْمُنَاطَرِ بِالتَّأْمَلِ .
وَقِيلَ : رَأْسُ الْعَقْلِ أَنَّ يَكُونَ الْكَلَامُ بِالتَّنَبُّثِ وَالتَّأْمَلِ . قَالَ الْقَائِلُ :
أَوْصِيكَ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ إِنْ كُنْتَ لِلرُّوحِيِّ الشَّفِيقِ مُطِيعًا
لَا تُغْفَلَنَّ سَبَبَ الْكَلَامِ وَوَقْتَهُ وَالْكَيفَ وَالْكَمَّ وَالْمَكَانَ جَمِيعًا (٢)
وَيَكُونَ مُسْتَفِيدًا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْقَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّمَا وَجَدَهَا
أَخَذَهَا ، وَقِيلَ : خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كُدِرَ . وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَسْتَاذَ
نَفَرَ الدِّينَ الْكَاشَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : كَانَتْ جَارِيَةً ابْنُ يُوسُفَ رَحِمَهُ
اللَّهُ أَمَانَةً عِنْدَ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهَا مُحَمَّدٌ : هَلْ تَحْفَظِينَ فِي هَذَا

(١) تقويه : تسديده وتصويبه نحو الهدف

(٢) الكيف : أى طريقة لإلقاء الكلام : من خفض الصوت ورفعته ، ومن
هدوء ولطف أو شدة وعنف ، والكم : المقدار من إيجاز أو إسهاب ، حسب
مقتضى الحال .

الوقت من أبي يوسف في الفقه شيئاً؟ قالت: لا، إلا أنه كان يكرّر ويقول سهم الدور^(١) ساقط. لحفظ ذلك منها، وكانت المسئلة مشكلة على محمد رحمه الله تعالى، فارتفع إشكاله بهذه الكلمة فلم أن الاستفادة ممكنة من كل أحد، ولهذا قال أبو يوسف رحمه الله حين قيل له: بهم أدركت العلم؟ قال: ما استنكفت من الاستفادة وما اجتأت بالإفادة. قيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بهم أدركت العلم؟ قال: بلسان سؤال، وقلب عقول، هو إنما سمي طالب العلم: ما تقول، لكثرة ما كانوا يقولون في الزمان الأول: ما تقول في هذه المسئلة؟ وإنما تفقه أبو حنيفة رحمه الله تعالى بكثرة المطارحة والمذاكرة في دكانه حين كان برّازاً^(٢)، وبهذا يعلم أن تحصيل العلم والفقه يجتمع مع الكسب وكان أبو حفص الكبير رحمه الله يكتسب ويكرّر. فإن كان لابد لطالب العلم

(١) سهم الدور ساقط: أي السهم الدائر يسقط ولا يحسب، وهو خاص بمسألة فقهية مشهورة في الميراث
(٢) البراز: بائع الثياب والمنسوجات.

مِنَ الْكَسْبِ لِنَفَقَةٍ عَلَيْهِ وَغَيْرِهِمْ فَلْيَكْتَسِبْ وَلْيَكْرِزْ وَلْيَدَا كِرْوَلَا يَكْسَلْ
وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الْبَدَنِ وَالْعَقْلِ عَذْرٌ فِي تَرْكِ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ أَفْقَرُ
مِنْ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنَ التَّفَقُّهِ فَن كَانَ لَهُ مَالٌ
كَثِيرٌ فَتَعَمَّ الْمَالُ الصَّالِحَ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ الْمُنْصَرِفِ فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ ه قِيلَ
لِعَالِمٍ : بِمِ أَدْرَكَتِ الْعِلْمَ ؟ قَالَ : بِأَبِ غَنِيٍّ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَصْطَنَعُ بِهِ (١) أَهْلَ
الْعِلْمِ وَالْفَضْلَ فَإِنَّهُ سَبَبُ زِيَادَةِ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ شُكِرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ ، وَهُوَ
سَبَبُ (٢) الزِّيَادَةِ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّمَا أَدْرَكَتِ الْعِلْمَ بِالْحَمْدِ
وَالشُّكْرِ فَكُلَّمَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِنَ الْعُلُومِ وَوَقَفْتُ عَلَى فَهْمٍ وَحِكْمَةٍ قُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ
تَعَالَى ، فَازْدَادَ عَلَيَّ ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَشْتَغَلَ بِالشُّكْرِ بِالسَّانِ
وَالْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ وَالْمَالِ ، وَبَرَى الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ وَالتَّوْفِيقِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَيَطْلُبُ الْهُدَايَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ مِنْهُ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى هَادٍ مَنِ

(١) يصطنع به أهل العلم : يبرم ويحسن إليهم

(٢) وهو سبب الزيادة : أى والشكر هو سبب الزيادة لقوله تعالى : ه لئن

شكرتم لازيدنكم .

اسْتَهْدَاهُ ، فَأَهْلُ الْحَقِّ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ طَلَبُوا الْحَقَّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ،
 الْحَقُّ الْمُبِينُ الْهَادِي الْعَاصِمُ ، فَهَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُمْ عَنِ الضَّلَالَةِ ، وَأَهْلُ
 الضَّلَالَةِ أُعْجِبُوا ^(١) بِرَأْيِهِمْ وَعَقْلِهِمْ وَطَلَبُوا الْحَقَّ مِنَ الْمَخْلُوقِ الْعَاجِزِ ، وَهُوَ
 الْعَقْلُ ، لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يَذَرُكَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، كَالْبَصَرِ لَا يُبْصِرُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ
 فَحُجِبُوا ، وَعَجَزُوا وَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «مَنْ عَرَفَ
 نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» ، فَإِذَا عَرَفَ عَجَزَ نَفْسَهُ عَرَفَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عِزَّ وَجَلَّ .
 وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ بَلْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَطْلُبُ الْحَقَّ مِنْهُ ،
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ^(٢) وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَمَنْ كَانَ
 لَهُ مَالٌ فَلَا يَخْلُ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْبُخْلِ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ ! وَكَانَ أَبُو الشَّيْخِ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ
 شَمْسُ الْأَنْثَمَةِ الْحَلَوَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقِيرًا ، يَبِيعُ الْحُلُوءَ ، وَكَانَ يُعْطَى

(١) أُعْجِبُوا بِرَأْيِهِمْ : فَرَحُوا بِهِ وَسُرُّوا مِنْهُ .

(٢) حَسْبُهُ : كَافِيهِ ، وَهَذَا اقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ .

الْفُقَهَاءَ مِنَ الْخُلََاءِ وَيَقُولُ : اَدْعُو لَأَبْنِي ! فَبَرَكَ جُودُهُ وَاعْتَقَادُهُ وَتَضَرَّعُهُ
نَالَ ابْنُهُ مَا نَالَ ، وَبَشْتَرَى بِالْمَالِ الْكُتُبَ . وَيَسْتَكْتَبُ فَيَكُونُ عَوْنًا عَلَى
التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ ، وَقَدْ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَالٌ كَثِيرٌ ، حَتَّى
كَانَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوُكَلَاءِ عَلَى مَالِهِ ، فَانْفَقَهُ كُلَّهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ
ثَوْبٌ نَفِيسٌ ، فَرَأَاهُ أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ثَوْبٍ خَلِقٍ ، فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ ثِيَابًا نَفِيسَةً ، فَلَمْ يَقْبَلَهَا وَقَالَ : عَجَّلَ لَكُمْ وَأَجَلَ لَنَا

وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا لَمْ يَقْبَلَهَا وَإِنْ كَانَ قَبُولُ الْهَدِيَّةِ سُنَّةً ، لِمَا رَأَى أَنَّ فِي ذَلِكَ
مَذَلَّةً لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «لَيْسَ لِلدُّمُونِ أَنْ يَذُلَّ نَفْسُهُ»
وَحَكَى أَنَّ الشَّيْخَ خَيْرَ الْإِسْلَامِ الْأَرَسَابِنْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ جَمَعَ قُشُورَ الْبُطِيخِ
الْمُلْقَاةَ فِي مَكَانٍ خَالَ فَنَسَلَهَا وَأَكَلَهَا فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ ، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ مَوْلَاهَا ،
فَاتَّخَذَ لَهُ دَعْوَةً وَدَعَاهُ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَقْبَلْ لِهَذَا (١) . وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ
أَنْ يَكُونَ ذَامَّةً عَالِيَةً لَا يَطْمَعُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) اتَّخَذَ لَهُ دَعْوَةً : أَيِ أَعَدَ لَهُ طَعَامًا . لِهَذَا : أَيِ لِثَلَاثِ ذُلِّ نَفْسِهِ .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ قَرَّرَ حَاضِرُهُ» (١)

وَلَا يَخْلُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ؛ بَلْ يُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ: وَقَالَ
النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «النَّاسُ مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ فِي قَرَرٍ» (٢)، وَكَانُوا
فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَتَعَلَّمُونَ الْحِرَّةَ ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ حَتَّى لَا يَطْمَعُوا فِي أَمْوَالِ
النَّاسِ؛ وَفِي الْحِكْمَةِ: مَنْ اسْتَقْنَى بِمَالِ النَّاسِ أَفْقَرَ، وَالْعَالَمُ إِذَا كَانَ طَمَاعًا
لَمْ تَبْقَ لَهُ حُرْمَةُ الْعِلْمِ، وَلَا يَقُولُ بِالْحَقِّ، وَلِهَذَا كَانَ يَتَوَدُّ صَاحِبُ الشَّرْعِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ وَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يَدْنِي إِلَى طَبْعٍ» (٣)، وَيَنْبَغِي
لِلْمُؤْمِنِ أَلَّا يَرْجُو إِلَّا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَخَافُ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ
بِمَجَاوِزَةِ حَدِّ الشَّرْعِ وَعَدَمِهَا، فَمَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى خَوْفًا مِنَ الْمَخْلُوقِ قَدْ

(١) إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ الخ: يعني أن المرء إنما يطمع خوفا من فقر متوقع
والطمع فقر حاضر فهو يلتجأ إلى الفقر خوفا من الفقر كالمستجير من
الرمضاء بالنار

(٢) الناس .. الخ: تنسب هذه الحكمة إلى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه

(٣) الطمع بكسر الطاء وفتح الباء: الدفء والعيب .

خَافَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِذَا لَمْ يَعْصِ اللَّهَ تَعَالَى لِحُوفِ الْمَخْلُوقِ وَرَأَيْبِ حُدُودِ
الشَّرْعِ ، فَلَمْ يَخَفْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَكَذَلِكَ فِي جَانِبِ الرَّجَاءِ (١)
وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَعِدَّ وَيُقَدِّرَ لِنَفْسِهِ تَقْدِيرًا فِي التَّكْرَارِ ، فَإِنَّهُ
لَا يَسْتَقِرُّ قَلْبُهُ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُكَرِّرَ سَبْقَ الْأَمْسِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وَسَبْقَ الْيَوْمِ
الَّذِي قَبْلَ الْأَمْسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، وَالسَّبْقُ الَّذِي قَبْلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَالَّذِي
قَبْلَهُ اثْنَيْنِ ، وَالَّذِي قَبْلَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَهَذَا أَدْعَى إِلَى الْحِفْظِ ، وَيَنْبَغِي
أَلَّا يَتَوَدَّاعَ الْخَاطَةَ فِي التَّكْرَارِ لِأَنَّ الدَّرْسَ وَالتَّكْرَارَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَا
بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ ، وَلَا يَجْهَرُ جَهْرًا يَجْهَدُ نَفْسَهُ كَيْلًا يَنْقَطِعَ عَنِ التَّكْرَارِ ، فَخَيْرُ
الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا

حُكِيَ أَنَّ أَبَا يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَذْكُرُ الْفَقْهَ مَعَ الْفُقَهَاءِ بِقُوَّةٍ
وَنَشَاطٍ ، وَكَانَ صِهْرُهُ عِنْدَهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ جَائِعٌ

(١) يعنى إذا لم يعص الله رجاءه لمخلوق فهو في الواقع لم يرج غير الله .

مِنْهُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُنَاطِرُ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ . وَيَنْبَغِي أَلَّا يَكُونَ لَطَالِبُ
 الْعِلْمِ قَفْرَةً ^(١) فَإِنَّهَا آفَةٌ ، وَكَانَ أَسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرْهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا فُقْتُ شُرَكَائِي بِأَنِّي لَمْ تَقَعْ لِي الْفَتْرَةُ فِي التَّحْصِيلِ .
 وَكَانَ يُحْكِي عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْأَسِيحَانِيِّ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ فِي زَمَانٍ تَحْصِيلُهُ
 وَتَعَلُّهُ فِتْرَةٌ ائْتَتْ عَشْرَةَ سَنَةٍ بِانْقِلَابِ الْمُلْكِ ، فَخَرَجَ مَعَ شَرِيكِهِ فِي الْمُنَاطَرَةِ
 إِلَى حَيْثُ يُمَكِّنُهُمَا الْإِسْتِمْرَارُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَظَلَّ يُدْرِسَانِهِمَا مَعًا ائْتَتْ
 عَشْرَةَ سَنَةٍ ، فَصَارَ شَرِيكُهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ لِلشَّافِعِيِّينَ ، وَكَانَ هُوَ شَافِعِيًّا ،
 وَكَانَ أَسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الْقَاضِي الْإِمَامُ غَرُّ الْإِسْلَامِ قَاضِيخَانٌ يَقُولُ :
 يَنْبَغِي لِلْفَقْهِ أَنْ يَحْفَظَ كِتَابًا وَاحِدًا مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ دَائِمًا لِيَقْسِرَ لَهُ بَعْدَ
 ذَلِكَ حِفْظُ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفِقْهِ

(١) الفتره: العطلة ، ومن أجل هذا كان واجبا على طلاب العلم ألا يتركوا
 المذاكرة أثناء عطلة الصيف .

(فصل في التوكل)

ثُمَّ لَا بُدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ التَّوَكُّلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلَا يَهْتِمُّ لِأَمْرِ الرِّزْقِ وَلَا يَشْغُلُ قَلْبُهُ بِذَلِكَ . رَوَى أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الزَّيْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَفَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هَمَّهُ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، فَإِنْ مِنْ اشْتَغَلَ قَلْبُهُ بِأَمْرِ الرِّزْقِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْكُسُوفِ ، قَلْبًا يَتَفَرَّغُ لِتَحْصِيلِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِي الْأُمُورِ . قِيلَ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي (١) قَالَ رَجُلٌ لِمَنْصُورِ الْحَلَّاجِ : أَوْصِنِي فَقَالَ : هِيَ نَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا شَغَلَتْكَ . فَيَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ حَتَّى لَا تَشْغَلَ

(١) يسخر الشاعر عن يخالطه بهذا البيت وبحقره لأنه يقول له : إنك لا تستطيع الجري في مجال المكارم والحمد ، لأن همك محصور في السعي وراء الطعام والكسوة ويقصد المصنف باستناده بهذا البيت أن يؤيد ما يقوله من أن من اشتغل قلبه بتحصيل الرزق قلما يفكر في مكارم الأخلاق ومعالي الأمور .

بِهَوَاهَا، وَلَا يَهْتَمُّ الْعَاقِلُ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لِأَنَّ الِأَهْمَّ وَالْحُزْنَ لَا يَرُدُّ الْمُصِيبَةَ وَلَا يَنْفَعُ
 بَلْ يَضُرُّ بِالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ، وَيُخِلُّ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَيَهْتَمُّ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ
 لِأَنَّهُ يَنْفَعُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكْفَرُهَا إِلَّا هُمْ
 الْمَعِيشَةُ، فَالْمُرَادُ مِنْهُ قَدَرُهُمْ لَا يَخِلُّ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ وَلَا يَشْغُلُ الْقَلْبَ شُغْلًا
 يَخِلُّ بِإِحْضَارِ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ. فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ الِأَهْمِّ وَالْقَصْدَ مِنْ أَعْمَالِ
 الْآخِرَةِ، وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَقْلِيلِ الْعَلَاتِقِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِقَدْرِ الْوُسْعِ.
 وَلِهَذَا اخْتَارُوا الْغُرْبَةَ. وَلَا بُدَّ مِنْ تَحْمِيلِ النَّصَبِ وَالْمَشَقَّةِ فِي سَفَرِ التَّعْلُمِ كَمَا
 قَالَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ فِي سَفَرِ التَّعْلُمِ، وَلَمْ يُنْقَلْ
 عَنْهُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْفَارِ: «لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، لِيَعْلَمَ أَنَّ
 سَفَرَ الْعِلْمِ لَا يَخْلُو مِنَ التَّعَبِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ
 عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ. فَمَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ
 وَجَدَ لَذَّةَ تَفَرُّقِ سَائِرِ لَذَاتِ الدُّنْيَا، وَلِهَذَا كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ إِذَا سَهَرَ
 اللَّيَالِيَ وَأَتَمَّلَتْ لَهُ الْمَشْكَلَاتُ يَقُولُ: «إِنَّ أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ مِنْ هَذِهِ اللَّذَاتِ؟

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّا يَشْتَغَلَ بِشَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ الْعِلْمِ ، وَلَا يُعْرِضَ عَنِ
الْفَقْهِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ صِنَاعَتَنَا هَذِهِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ
فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتْرُكَ عَلَيْنَا هَذَا سَاعَةً فَلْيَتْرُكْهُ السَّاعَةَ (١)

وَدَخَلَ فَقِيهٌ عَلَى أَبِي يُوسُفَ يَعُودُهُ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ
فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لَهُ : رَمَى الْجِمَارَ رَاكِبًا أَفْضَلَ أَمْ رَاجِلًا ؟ فَلَمْ يَعْرِفِ
الْجَوَابَ ، فَأَجَابَ بِنَفْسِهِ . وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيهِ أَنْ يَشْتَغَلَ بِهِ فِي جَمِيعِ
أَوَقَاتِهِ حَتَّى تَجِدَ لَذَّةَ عَظِيمَةٍ فِي ذَلِكَ وَقِيلَ : رَوَى مُحَمَّدٌ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ فِي حَالِ النَّزْعِ ؟ فَقَالَ كُنْتُ مُتَمَلِّيًا فِي مَسْئَلَةٍ مِنْ
مَسَائِلِ الْمَكَاتِبِ (٢) فَلَمْ أَشْعُرْ بِخُرُوجِ رُوحِي ، وَقِيلَ إِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ

(١) فليترك الساعة: يريد أن من شرع في تعلم الفقه وهو بنو أن يترك
الاشتغال به في وقت من الأوقات كانت إرادته في تعلم الفقه ضعيفة وتصميمه
مزعزعا؛ ومن شرع في عمل شيء وهو ضعيف الإرادة مزعزع التصميم لا ينجزه
ولا يبلغ منه شيئا، لا سيما إذا كان عظيم الشأن جليل القدر كعلم الفقه، وإذن
فينبغي له أن يترك الاشتغال به لأنه حينئذ غير منتج وعبث باطل
(٢) محمد: هو محمد بن الحسن. والمكاتيب بصيغة اسم المفعول: هو العبد

عمره : شَغَلْتَنِي مَسَائِلُ الْمَكَاتِبِ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لِهَذَا الْيَوْمِ ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَوَاضَعًا .

﴿ فصل في وقت التحصيل ﴾

قيل : وَقْتُ التَّعَلُّمِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ ، وَأَفْضَلُ الْأَوْقَاتِ شَرْخُ الشَّبَابِ (١) وَوَقْتُ السَّحْرِ ، وَمَا بَيْنَ الْعِشَاءِ بَيْنَ

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَغْرِقَ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ ، فَإِذَا مَلَ مِنْ عِلْمٍ يَشْتَغِلُ بِعِلْمٍ آخَرَ ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِذَا مَلَ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ يَقُولُ : هَاتُوا دِيْوَانَ الشُّعْرَاءِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ وَكَانَ يَضَعُ عِنْدَهُ الدَّفَاتِرَ ، وَكَانَ إِذَا مَلَ مِنْ نَوْعٍ يَنْظُرُ فِي نَوْعٍ آخَرَ .

﴿ فصل في الشفقة والنصيحة ﴾

يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْعِلْمِ مُشْفِقًا نَاصِحًا غَيْرَ حَاسِدٍ فَالْحَسَدُ يَضُرُّ

الذي تعاقده مع سيده أن يعتقه نظير مبلغ من المال مؤجل يصير حراً بعد سداده لسيده

(١) شَرْخُ الشَّبَابِ : أَوَّلُهُ ، وَالسَّحَرُ : قَبِيلُ الصَّبْحِ ، وَالْعِشَاءُ : الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ .

وَلَا يَنْفَعُ . وَكَانَ أَسَازَا شَيْخُ الْإِسْلَامُ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : إِنَّ
ابْنَ الْمُعَلِّمِ يَكُونُ عَالِمًا ، لِأَنَّ الْمُعَلِّمَ يَرِيدُ أَنْ تَكُونَ تَلَامِيذُهُ عُلَمَاءَ ، فَبِرَكَّةِ
أَعْتِقَادِهِ وَشَفَقَتِهِ يَكُونُ ابْنُهُ عَالِمًا ، وَكَانَ يُحْكِي أَنَّ الصِّدْرَ الْأَجَلَ بُرْهَانَ
الْأَثَمَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ جَعَلَ وَقْتُ السَّبْقِ لِابْنِهِ الصِّدْرِ الشَّهِيدِ حُسَامِ الدِّينِ
وَالصِّدْرِ السَّعِيدِ تَاجِ الدِّينِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَقْتُ الصُّخْرَةِ الْكُبْرَى ،
بَعْدَ جَمِيعِ الْأَسْبَاقِ وَكَانَا يَقُولَانِ : طَبِيعَتُنَا تَكُلُّ وَتَمَلُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ،
فَقَالَ أَبُوهُمَا إِنَّ الْغُرَبَاءَ وَأَوْلَادَ الْكِبَرَاءِ يَأْتُونَنِي مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، فَلَا بَدَّ
مِنْ أَنْ أَقْدِمَ أَسْبَاقَهُمْ . فَبِرَكَّةِ شَفَقَتِهِ تَفُوقُ أَبْنَاءَهُ عَلَى أَكْثَرِ قُفْهَاءِ أَهْلِ
الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ

وَيَنْبَغِي الْأَيُّزَانِ أَحَدًا وَلَا يُخَاصِمُهُ لِأَنَّهُ يُضَيِّعُ أَوْقَاتَهُ . قِيلَ : الْمُحْسِنُ
سَيُجْزَى بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءُ سَتَكْفِيهِ مَسَاوِيهِ . أَتَشَدُّنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ رَكْنُ
الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمَعْرُوفِ بِإِمَامِ خَوَاهِرِ زَادَةِ الْمُفْتَى رَحِمَهُ اللَّهُ
قَالَ أَتَشَدُّنِي سُلْطَانُ الشَّرِيعَةِ يُوسُفُ الْهَمْدَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَلَا تَجْزِ إِنْسَانًا عَلَى سُوءٍ فَعَلَهُ سَيِّئُهُ مَا فِيهِ وَمَا هُوَ فَعَلَهُ
 وَقِيلَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْغِمَ أَنْفَ عَدُوِّهِ فَلْيَكْرَرْ هَذَا الشَّعْرَ . وَانْشَدْتُ :
 إِذَا شِئْتَ أَنْ تُلْقَى عَدُوَّكَ رَاغِمًا وَتَقْتُلَهُ غَمًّا وَتَحْرِقَهُ هَمًّا
 فَرُمٌ لِلْعَلَا وَازْدَدَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّهُ مِنْ أَزْدَادِ عَلِيٍّ زَادَ حَاسِدُهُ غَمًّا (١)
 وَعَلَيْكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِمَصَالِحِ نَفْسِكَ لِابْقَهْرِ عَدُوَّكَ . فَإِذَا قُتَّ بِمَصَالِحِ
 نَفْسِكَ تَضَمَّنَ ذَلِكَ قَهْرَ عَدُوِّكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمُعَادَاةَ فَإِنَّهَا تَفْضَحُكَ وَتَضِيعُ
 أَوْقَانَكَ ، وَعَلَيْكَ بِالتَّحَمُّلِ ، لِأَسِيَّاءِ مِنَ السُّفَهَاءِ . قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ : احْتَمِلُوا مِنَ السُّفِيهِ وَاحِدَةً كَيْ تَرْجَحُوا عَشْرًا
 وَانْشَدْتُ لِبَعْضِهِمْ :

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرْ غَيْرَ خِتَالٍ وَقَالِي (٢)
 وَلَمْ أَرْ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقَعًا وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

(١) رم للعلا : أطلب العلا ، فعل أمر من رام الشيء : طلبه .
 (٢) ختال : مخادع . قالى : كاره ، من قلاه يقلبه إذا كرهه .

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طَرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمَرٌ مِنَ السُّؤَالِ
وَأَيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ شَرًّا بِالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْشَأُ الْعِدَاوَةِ وَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «ظَنُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا» وَإِنَّمَا يَنْشَأُ ذَلِكَ مِنْ
خُبْتِ النِّيَّةِ وَسُوءِ السَّرِيرَةِ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِهِ ^(١)
وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ عِدَائِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلَمٍ ^(٢)
وَأَنْشَدْتُ لِبَعْضِهِمْ :

تَحَّ عَنْ التَّبَيُّحِ وَلَا تَرُدَّهُ وَمَنْ أَوَّلَيْتَهُ حَسَنًا فَرَدَّهُ
سَتَكُنِّي مِنْ عَدُوِّكَ كُلِّ كَيْدٍ إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تُكِدَّهُ

وَأَنْشَدْتُ لِلشَّيْخِ الْعَمِيدِ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

ذُو الْعَقْلِ لَا يَسْلُمُ مِنْ جَاهِلٍ يَسُومُهُ ظُلْمًا وَإِعْنَاتًا ^(٣)

(١) يعتاده : يتنابه ويرد على ذهنه من خواطر وأوهام

(٢) العداة بضم العين جمع العادي : وهو العدو

(٣) الإعنات : الإحراج من أعتته إذا أخرجته وأوقعه فيما لا يستطيع

الخروج منه .

فَلْيَخْتَرْ السَّلْمَ عَلَى حَرَبِهِ وَلْيَلْزِمِ الْإِنْصَاتَ إِنْ صَاتَا (١)

(فصل في الاستفادة)

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَالِبُ الْعِلْمِ مُسْتَفِيدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْفَضْلُ
وَطَرِيقُ الْإِسْتِفَادَةِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَحْبَرَةٌ حَتَّى يَكْتُبَ
مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفَوَائِدِ، فَقَدْ قِيلَ: مَنْ حَفِظَ قُرْ، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا قُرْ (٢)
وَقِيلَ: الْعِلْمُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ لِأَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ
وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ، وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَدِيبَ الْأُسْتَاذَ زَيْنَ
الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفَ بِالْأَدِيبِ الْمُخْتَارِ يَقُولُ: قَالَ هِلَالُ بْنُ يَسَارٍ: رَأَيْتُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَعَدَلِي مَا قُلْتَ لَهُمْ. فَقَالَ لِي: هَلْ مَعَكَ مَحْبَرَةٌ؟ فَقُلْتُ مَامَعِيَ مَحْبَرَةٌ. فَقَالَ

(١) الإنصات: الإصغاء، ويريد به السكوت، إن صاتا: أى إن أحدث
صوتًا وصاح، فالألف فيه للإشباع

(٢) من حفظ قر: أى من حفظ شيئًا قر منه ما حفظه، ومن كتب شيئًا
استقر وسكن عنده ما كتبه.

يَاهِلَالُ ! لَا تَفَارِقِ الْحَبْرَةَ فَإِنَّ الْحَيَّرَ فِيهَا وَفِي أَهْلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَوَصَّى
الصدرُ الشَّهِيدُ حُسامُ الدِّينِ ابْنَهُ شَمْسَ الدِّينِ أَنْ يَحْفَظَ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا سِيرًا
مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، فَإِنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ يَكُونُ كَثِيرًا ، وَاشْتَرَى عَصَامُ بْنُ يُوسُفَ
قَلَمًا بِدِينَارٍ لِيَكْتُبَ مَا سَمِعَهُ فِي الْحَالِ ، فَالْعَمْرُ قَصِيرٌ ، وَالْعِلْمُ كَثِيرٌ ،
فَيَنْبَغِي أَلَّا يُضَيَعَ الْأَوْقَاتُ وَالسَّاعَاتُ ، وَيَقْتَنَمَ اللَّيَالِ وَالْخَلَوَاتُ . عَنْ يَحْيَى
ابْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ : اللَّيْلُ طَوِيلٌ فَلَا تُقْصِرْهُ بِمَنَامِكَ ، وَالنَّهَارُ مُضِيٌّ
فَلَا تُكْذِرْهُ بِإِثَامِكَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْتَنَمَ الشُّيُوخَ وَيَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ وَلَيْسَ كُلُّ
مَافَاتٍ يُدْرِكُ ، كَمَا قَالَ أَسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : وَكَمْ مِنْ شَيْخٍ
كَبِيرٍ أَدْرَكَهُ وَمَا اسْتَخْبَرْتُهُ ، وَأَقُولُ عَلَى هَذَا الْفَوْتِ مُنْشَأً هَذَا الْبَيْتَ :
لَهْفِي عَلَى فَوْتِ التَّلَاقِ لَهْفًا مَا كُلُّ مَافَاتٍ وَيَقْنَى يَلْفِي ^(١)

قَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ ^(٢) . وَكُنِّي
بِالْإِعْرَاضِ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ خِزْيًا وَخَسَاوًا ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ،

(١) يلفي : يوجد (٢) يعني إذا كنت في طلب أمر فتفرغ له واجتهد في تحصيله .

وَلَا بُدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَحْمِلِ الْمَشَقَّةِ وَالْمَذَلَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالتَّمَلُّقِ مَذْمُومٌ
إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّمَلُّقِ لِلْإِسْتِزَادِ وَالشُّرْكَاءِ وَغَيْرِهِمْ لِلِاسْتِفَادَةِ
مِنْهُمْ ، قِيلَ : الْعِلْمُ عِزٌّ لَا ذِلَّةَ فِيهِ ، وَلَا يَذُرُّكَ إِلَّا بِذِلَّةٍ لَا عِزَّ فِيهِ ، وَقَالَ الْقَائِلُ :
أَرَى لَكَ نَفْسًا تَشْتَبِي أَنْ تُعْزَّهَا فَلَسْتَ تَتَالُ الْعِزَّ حَتَّى تُذِلَّهَا

(فصل في الورع في حالة التعلم)

رَوَى بَعْضُهُمْ حَدِيثًا فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعَلُّهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَحَدٍ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ :
إِمَّا أَنْ يُمِيتَهُ فِي شَبَابِهِ أَوْ يُوقِعَهُ فِي الرِّسَالَتَيْنِ ^(١) أَوْ يَبْتَلِيَهُ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ ،
فَهُمَا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ أَوْرَعٌ ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْفَعُ ، وَالتَّعَلُّمُ لَهُ أَيْسَرُ ، وَفَوَائِدُهُ
أَكْثَرُ . وَمِنَ الْوَرَعِ الْكَامِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الشَّبَعِ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ ، وَكَثْرَةِ
الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَنْفَعُ ، وَأَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ أَكْلِ طَعَامِ السُّوقِ إِنْ أُمِكَنَ لِأَنَّ

(١) الرسالتين جمع رستاق : وهو الريف والقرى ، والظاهر أن هذا الحديث موضوع .

طَعَامَ السُّوقِ أَقْرَبُ لِلنَّجَاسَةِ وَالْحَيَاةِ ، وَأَبْعَدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَأَقْرَبُ إِلَى
الْغَفْلَةِ ، وَلَآنَ أَبْصَارُ الْفُقَرَاءِ تَقَعُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الشِّرَاءِ مِنْهُ فَيَتَأَذَّوْنَ
بِذَلِكَ فَتَذْهَبَ بَرَكَتُهُ

حُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْجَلِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ فِي حَالٍ
تَعْلُهُ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ السُّوقِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَسْكُنُ فِي الرُّسْتَاقِ وَيَهْيِي لَهُ
طَعَامَهُ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَرَأَى فِي بَيْتِ ابْنِهِ خُبْزَ السُّوقِ يَوْمًا فَلَمْ
يُكَلِّمهُ سَاحِطًا عَلَيْهِ ، فَأَعْتَذَرَ ابْنُهُ وَقَالَ : مَا اشْتَرَيْتُهُ وَلَمْ أَرْضَ بِهِ ، وَلَكِنْ
أَحْضَرَهُ شَرِيكِي . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : لَوْ كُنْتَ تَحْتَاطُ وَتَتَوَرَّعُ عَنْ مِثْلِهِ لَمْ يَجْتَرِئِ
شَرِيكَكَ عَلَى ذَلِكَ ، وَهَكَذَا كَانُوا يَتَوَرَّعُونَ ، فَلِذَلِكَ وَقَفُوا لِلْعِلْمِ وَالنَّشْرِ
حَتَّى بَقِيَ أَسْمُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَوَصَّى فقيه من زُهَادِ الْفُقَهَاءِ طَالِبَ عِلْمٍ
فَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ أَنْ تَتَحَرَّزَ عَنِ الْغِيَةِ وَعَنِ مَجَالَسَةِ الْمَكْتَارِ (١) ، وَقَالَ
إِنْ مِنْ يُكْثِرُ الْكَلَامَ يَسْرِقُ عَمْرَكَ ، وَيُضَيِّعُ أَوْقَاتَكَ ، وَمِنْ الْوَرَعِ أَنْ

(١) المكثار : كثير الكلام .

يَحْتَلِبُ أَهْلُ الْفَسَادِ وَالْمَعَاصِي وَالْتَعَطِيلِ وَيَجَاوِرُ الصُّلَحَاءَ فَإِنَّ الْجَاوِرَةَ مُؤَثَّرَةٌ
لِلْأَعْمَالَةِ ، وَأَنْ يَجْلِسَ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ وَيَكُونَ مُسْتَنًا ^(١) بِسَنَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَيَغْتَنِمَ دُعَاءَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَيَحْتَرِزُ عَنْ دُعَاءِ الْمَظْلُومِينَ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْغُرَبَةِ ، وَكَانَا شَرِيكَيْنِ فِي الْعِلْمِ
فَرَجَعَا بَعْدَ سَنَيْنَ إِلَى بِلَدِهِمَا وَقَدْ فَقَّهَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَفْقَهُ الْآخَرُ ، فَتَأَمَّلَ فَقُفَّاهُ
الْبَلَدَةَ وَسَأَلُوا عَنْ حَالِهِمَا وَتَكَرَّرَ هُمَا وَجُلُوسُهُمَا فَأَخْبَرُوا أَنَّ جُلُوسَ الَّذِي
فَقَّقَهُ فِي حَالِ التَّكْرَارِ ، كَانَ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ وَالْمِصْرَ ^(٢) الَّذِي حَصَلَ الْعِلْمُ فِيهِ
وَالْآخَرُ كَانَ مُسْتَدْبِرًا الْقِبْلَةَ وَوَجْهَهُ إِلَى غَيْرِ الْمِصْرِ ؛ فَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ
أَنَّ الْفَقِيهَ فَقَّهَ بِرُكَّةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ إِذْ هُوَ السَّنَةُ فِي الْجُلُوسِ ، إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ
وَبِرُكَّةِ دُعَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ الْمِصْرَ لَا يَخْلُو عَنْ الْعِبَادِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ ، فَالظَّاهِرُ
أَنَّ عَابِدًا مِنَ الْعِبَادِ دَعَا لَهُ فِي اللَّيْلِ ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّا يَتَهَاوَنَ بِالْآدَابِ
وَالسَّنَنِ فَإِنَّ مَنْ يَتَهَاوَنُ بِالْآدَابِ يُحْرَمُ السَّنَةُ وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسَّنَةِ حُرِمَ

(٢) المِصْرُ : الْمَدِينَةُ

(١) مُسْتَنًا : مُتَّبِعًا لِسَنَةِ النَّبِيِّ

الْفَرَائِضَ وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَائِضِ حَرَّمَ الْآخِرَةَ
وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْثَرَ الصَّلَاةُ وَيُصَلَّى صَلَاةَ الْخَاشِعِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ عَوْنٌ لَهُ عَلَى
التَّحْصِيلِ وَالتَّعَلُّمِ

أَنْشَدْتُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ الزَّاهِدِ الْحَجَّاجِ نَيْمِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسَبِيِّ :
كُنْ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي حَافِظًا وَعَلَى الصَّلَاةِ مُوَظِّبًا وَمُحَافِظًا
وَأَطْلُبْ عُلُومَ الشَّرْعِ وَاجْهَدْ وَأَسْتَعِنْ بِالطَّيِّبَاتِ تَصِرْ فَقِيهًا حَافِظًا
وَأَسْأَلُ إِمْلَكَ حِفْظَ حِفْظِكَ رَاغِبًا فِي فَضْلِهِ فَإِنَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا
وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ :

أُطِيعُوا وَاجِدُوا وَلَا تَكْسَلُوا وَأَنْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ
وَلَا تَهْجَعُوا نَفِيسَ الْوَرَى قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١)
وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَصْحَبَ دَفْتَرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيُطَالِعَهُ ، وَقِيلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ

(١) لا تهجموا : لاتماموا ، رخييار : جمع خير بتشديد الباء المكسورة والورى :
الخلق ، وفي الشعر اقتباس من القرآن .

لَهُ دَفْتَرٌ فِي كُمِهِ (١) لَمْ تَثْبُتِ الْحِكْمَةُ فِي قَلْبِهِ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الدَّفْتَرِ
يَاضٌ لِيَكْتُبَ فِيهِ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ ، وَيَسْتَنْصِبَ الْمُخْبِرَةَ لِيَكْتُبَ
مَا يَسْمَعُ وَقَدْ ذَكَرْنَا حَدِيثَ هَلَالِ بْنِ يَسَارٍ

(فصل فيما يورث الحفظ)

وَأَقْوَى أَسْبَابِ الْحِفْظِ الْجِدُّ وَالْمُوَاطَئَةُ وَقَلِيلُ الْغَدَاءِ وَصَلَاةُ اللَّيْلِ
وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ ، قِيلَ : لَيْسَ شَيْءٌ أَزِيدَ لِلْحِفْظِ مِنْ
قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نَظَرًا (٢) . وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظَرًا أَفْضَلُ . وَرَأَى شَدَادُ بْنُ
حَكِيمٍ بَعْضَ إِخْوَانِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ وَجَدْتُهُ أَنْفَعَ ؟ قَالَ
قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظَرًا ، وَيَقُولُ عِنْدَ رَفْعِ الْكِتَابِ : بِسْمِ اللَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ الْعَزِيزِ عَدَدَ كُلِّ حَرْفٍ كُتِبَ وَيُكْتُبُ أَبَدَ الْأَبَدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ

(١) الكُم : مدخل اليد ومخرجها من الثوب والمراد الجيب

(٢) نَظَرًا أى تلاوة في المصحف .

وَيَقُولُ بَعْدَ كُلِّ مَكْتُوبَةٍ (١) آمَنْتُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْحَقِّ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ . وَكَفَرْتُ بِمَا سِوَاهُ . وَيُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، قِيلَ :

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
فَإِنَّ الْحِفْظَ فَضْلٌ مِنَ الْإِلَهِ وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِمَعَاصِي
وَالسَّوَاكِ وَشَرْبِ الْعَسَلِ وَأَكْلِ الْكُنْدُرِ (٢) مَعَ السَّكَّرِ ، وَأَكْلِ إِحْدَى
وَعِشْرِينَ زَبِيَّةَ حَمْرًا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الرَّيْقِ يُورِثُ الْحِفْظَ وَيَشْنِي مِنْ كَثِيرٍ
مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ . وَأَكْلُ مَا يَقْلُ الْبَلْغَمَ وَالرُّطُوبَاتِ يَزِيدُ فِي الْحِفْظِ
وَأَمَّا مَا يُورِثُ النِّسْيَانَ فَالْمَعَاصِي وَكَثْرَةُ الذُّنُوبِ وَالْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ فِي
أُمُورِ الدُّنْيَا وَكَثْرَةُ الْأَشْغَالِ وَالْعَلَاقِقِ ، وَكُلُّ مَا يَزِيدُ فِي الْبَلْغَمِ يُورِثُ
النِّسْيَانَ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَهْتَمَّ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ يَضُرُّ

(١) مكتوبة : أى صلاة مفروضة

(٢) الكندر بضم الكاف والذال : نوع من الملك (البان الذكر) .

ولا ينفع وهموم الدنيا لا تغلو عن الظلمة في القلب ، وهموم الآخرة لا تغلو
عن النور في القلب ، ويظهر أثره في الصلاة ، وهم الدنيا يمنعه عن الخير
وهم الآخرة يحمله عليه ، والاشتغال بالصلاة على الخشوع ، وتحصيل العلم
ينقي الهم والحزن كما قال الشيخ الإمام نصر بن الحسن المرغيناني في قصيدة له :

أَعْتَنَ نَصْرُ بْنُ حَسَنٍ بِكُلِّ عِلْمٍ يُخْتَرَنُ
ذَلِكَ الَّذِي يَنْبِئُ الْحَزْنَ وَغَيْرَهُ لَا يُؤْتَمَنُ

وقال الشيخ الإمام الأجل نجم الدين عمر بن محمد النسفي في أم ولد له
سَلامٌ عَلَى مَنْ تَيْمَنِي بِطَرْفِهَا وَلَمْعَةٌ خَدَيْهَا وَلَحَّةٌ طَرْفِهَا (١)
سَبْتِي وَأَصْبَتِي فَتَأَةِ مَلِيحَةٍ تَحْيِرَتِ الْأَوْهَامُ فِي كُنْهِ وَصْفِهَا (٢)

(١) تيمنى : شغفتني حباً . لمعة الخدين : برقعتهما وفنارتهما ، لحة طرفها : يقال
لمح إليه بفتح الميم أى اختلس النظر إليه ، والطرف : العين والمقصود هنا حسن
النظر ورشاقة الالتفات

(٢) سبتني : أسرّتنى . أصبتني : شاقّتنى وأهاجتني نشوة الصبا . الأوهام هنا
بمعنى العقول . كنه وصفها : حقيقة وصفها ، وإنما تحيرت العقول في حقيقة
وصفها لأنها انبهرت بجمالها كما تنبه العين بضوء الشمس فلا تستطيع النظر إليها.

فَقُلْتُ ذَرْنِي وَأَعْذِرْنِي فَأَتَنِي شُغِفْتُ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَشَفَهَا (١)
وَلِي فِي طَلَابِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالتَّقَى غِنَى عَنْ غِنَاءِ الْغَانِيَاتِ وَعَرَفَهَا (٢)
أَمَّا أَسْبَابُ نِسْيَانِ الْعِلْمِ فَأَكُلُ الْكَزْبَةِ الرُّطْبَةَ وَأَكُلُ التَّفَاحِ الْحَامِضَ
وَالنَّظَرَ إِلَى الْمَصْلُوبِ، وَقِرَاءَةَ لَوْحِ الْقُبُورِ، وَالْمُرُورَ بَيْنَ قَطَارِ الْجَمَالِ وَالْقَاءَ
الْقَمَلَ الْحَيَّ عَلَى الْأَرْضِ، وَالْحِجَامَةَ عَلَى نُقْرَةِ الْقَفَا، كُلُّهَا تُورِثُ النِّسْيَانَ
﴿فصل فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقص﴾
ثُمَّ لَا بُدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْقُوَّةِ وَمَعْرِفَةِ مَا يَزِيدُ فِيهِ وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ
وَالصَّحَّةِ لِيَتَفَرَّغَ طَالِبُ الْعِلْمِ لِلسَّعْيِ إِلَى غَرَضِهِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ صَنَفُوا كُتُبًا
فَأُورِدَتْ ههنا بعضها على سبيلِ الْإِخْتِصَارِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، فَإِنَّ الرَّجُلَ
لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ.

- (١) ذرني : اتركني . أعذريني : اسمعي لي بالتخلي عن الاشتغال بجمك
(٢) طلاب : طلب . غناء بكسر الغين : التلحين والغنى . الغانيات : الجميلات ،
والعرف : بفتح العين الراححة الطيبة .

ثَبَّتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ ارْتِكَابَ الذَّنْبِ سَبَبُ حَرَمَانِ الرِّزْقِ ، خُصُوصًا
الْكُذْبَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْفَقْرَ وَقُدُورَ فِيهِ حَدِيثٌ خَاصٌّ ، وَكَذَا نَوْمُ الصُّبْحَةِ
يَمْنَعُ الرِّزْقَ ، وَكَثْرَةُ النَّوْمِ تُورِثُ الْفَقْرَ وَقَدْ عَلِمَ أَيْضًا قَالَ الْقَائِلُ :
سُرُورُ النَّاسِ فِي لُبْسِ اللَّبَاسِ وَجَمْعُ الْعِلْمِ فِي تَرْكِ النَّعَاسِ

وقال بعضهم :

أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِيَا تَمُرُّ بِلاَ نَفْعٍ وَتُحَسَّبُ مِنْ عَمْرِي

وقال آخر :

فُمِ اللَّيْلُ بِأَهَذَا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ إِلَى كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعَمْرُ يَنْفَدُ
وَالنَّوْمُ عُرْيَانًا ، وَالْبَوْلُ عُرْيَانًا ، وَالْأَكْلُ جُنْبًا ، وَالْأَكْلُ مُتَكِنًا عَلَى
جَنْبٍ ، وَالتَّهَؤُنُ بِسُقَاطَةِ ^(١) الْمَائِدَةِ ، وَحَرْقُ قَشْرِ الْبَصْلِ وَالثُّومِ ، وَكَنْسُ
الْبَيْتِ بِالْمَنْدِيلِ ، وَكَنْسُ الْبَيْتِ فِي اللَّيْلِ ، وَتَرْكُ الْقَهَامَةِ ^(٢) فِي الْبَيْتِ ؛

(١) سقاطة الشيء : ما يسقط منه عادة . المائدة : الخوان ، فسقاط المائدة

هو فئات الخبز ونحوه (٢) القهامة : الكناسة .

وَالْمَشْيُ قُدَّامَ الْمَشَايِخِ وَنِدَاءُ الْأَبْوَيْنِ بِاسْمِهِمَا ، وَالْخِلَالُ بِكُلِّ خَشَبَةٍ ^(١) ،
وَعَسَلُ الْيَدَيْنِ بِالطَّيْنِ وَالتُّرَابِ ، وَالْجُلُوسُ عَلَى الْعَتَبَةِ وَالْإِتِّكَاءُ عَلَى أَحَدِ
مِصْرَاعِي الْبَابِ ، وَالتَّوَضُّؤُ فِي الْمَبْرَزِ ^(٢) ، وَخِيَاطَةُ الثَّوبِ عَلَى بَدَنِهِ ،
وَتَجْفِيفُ الْوَجْهِ بِالثَّوبِ ، وَتَرْكُ بَيْتِ الْعَنَكُبُوتِ فِي الْبَيْتِ وَالتَّهَافُوتُ بِالصَّلَاةِ
وَلِإِسْرَاعِ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَالْإِبْكَارُ بِالذَّهَابِ إِلَى
السُّوقِ . وَالْإِبْطَاءُ فِي الرُّجُوعِ مِنْهُ ، وَشِرَاءُ كَثِيرَاتِ الْخُبْزِ مِنَ الْفُقَرَاءِ
السُّؤَالِ وَدُعَاءُ الشَّرِّ عَلَى الْوَلَدِ ، وَتَرْكُ تَخْمِيرِ ^(٣) الْأَوَانِي ، وَإِطْفَاءُ السَّرَاجِ
بِالنَّفْسِ ، كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ الْفَقْرَ ، عُرِفَ ذَلِكَ بِالْآثَارِ ، وَكَذَا الْكِتَابَةُ
بِالْقَلَمِ الْمَعْقُودِ ^(٤) ، وَالْإِمْتِشَاطُ بِمِشْطٍ مُنْكَسِرٍ ، وَتَرْكُ الدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْتَّعَمُّ قَاعِدًا ، وَالتَّسْرُؤُ ^(٥) قَائِمًا ، وَالْبُخْلُ وَالتَّقْتِيرُ وَالْإِسْرَافُ

- (١) الخلال : أى يخلل أسنانه بأى شئ يمجده ، والواجب أن يتخلل بعود
الخلال لأنه رفيع وليس منه ضرر (٢) المبرز : مكان التبرز ، المرحاض
(٣) تخمير الأواني : تنظيفها (٤) القلم المعقود : هو القلم الذى كسر ثم
ربط بشئ ليتمكن استعماله (٥) التسرؤ لبس السروال .

وَالْكَسْلُ وَالتَّوَانِي ، وَالتَّهَوُّنُ فِي الْأُمُورِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَزِلُّوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ ،
وَالْبُكُورِ مُبَارَكٍ زَيْدٌ فِي جَمِيعِ النِّعَمِ خُصُوصًا فِي الرِّزْقِ ، وَحُسْنُ الْخَطِّ
مِنْ مَفَاتِيحِ الرِّزْقِ ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ ، وَطِيبُ الْكَلَامِ يَزِيدُ فِي الْحِفْظِ وَالرِّزْقِ .
وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « كَفَسُ الْفَنَاءِ ، وَغَسْلُ الْإِنَاءِ ،
مَجْلَبَةُ الْغِنَى ، وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلرِّزْقِ : إِقَامَةُ الصَّلَاةِ بِالتَّعْظِيمِ
وَالْخُشُوعِ وَتَعْدِيلُ الْأَرْكَانِ وَسَاتِرُ وَاجِبَاتِهَا وَسُنَنُهَا وَآدَابُهَا ، وَصَلَاةُ
الضُّحَى فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ خُصُوصًا بِاللَّيْلِ
وَقْتَ النَّوْمِ ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْمُلْكِ وَالْمُزَّمِّلِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَأَلَمْ نَشْرَحْ
لَكَ ، وَحُضُورُ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْأَذَانِ ، وَالْمُدَاوِمَةُ عَلَى الطَّهَارَةِ ، وَأَدَاءُ سُنَّةِ
الْفَجْرِ وَالْوُتْرِ فِي الْبَيْتِ ، وَالْأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ الدُّنْيَا بَعْدَ الْوُتْرِ ، وَلَا يُكْثِرُ
مُجَالَسَةَ النِّسَاءِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَفُوٍّ غَيْرِ مُفِيدٍ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ

قِيلَ : مَنْ أَشْتَغَلَ بِمَا لَا يَنْبَغِيهِ يَقُوتهُ مَا يَنْبَغِيهِ ^(١) قَالَ بَزْرُ جَهْمٍ : إِذَا رَأَيْتَ
الرَّجُلَ يَكْثُرُ الْكَلَامَ فَاسْتَيْقِنْ بِجُنُونِهِ . وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : إِذَا
تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ . وَقَالَ الْمُصَنِّفُ : اتَّفَقُوا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى :

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ قَلَّ كَلَامُهُ وَأَيُّقِنْ بِحَقِّ الْمَرْءِ إِنْ كَانَ مُكْثِرًا
وَقَالَ آخَرُ :

النُّطْقُ زِينٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مُكْثِرًا
مَا إِنْ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا ^(٢)

وَمَا يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ أَنْ يَقُولَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ انْتِشَاقِ الْفَجْرِ إِلَى وَقْتِ
الصَّلَاةِ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ
إِلَيْهِ ، مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَأَنْ يَقُولَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ » كُلَّ يَوْمٍ
صَبَاحًا وَمَسَاءً مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَأَنْ يَقُولَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ كُلَّ يَوْمٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ
أَيْضًا ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَيَكْثُرُ مِنْ قَوْلِ :

(١) بَعْنِيهِ : يَهْمُهُ (٢) مَا إِنْ نَدِمْتَ : أَيْ مَا نَدِمْتَ فَإِنْ زَانِدَةٌ .

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ وَيَقُولُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً: اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِمَجْلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ،
وَأَكْفِنِي بِفَضْلِكَ عَنْ سِوَاكَ، وَيَقُولُ هَذَا التَّائِمُ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ: أَنْتَ اللَّهُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ، أَنْتَ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، أَنْتَ
اللَّهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
عَالِمُ السَّرِّ وَاخْفَى، أَنْتَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ، أَنْتَ اللَّهُ دَيَّانٌ ^(١) يَوْمَ الدِّينِ لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ،
أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمَنُ الْمُهِمَّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ: الْبِرُّ وَتَرْكُ الْأَذَى، وَتَوْفِيرُ ^(٢) الشُّبُوحِ، وَصَلَّةُ

(١) الديان: القهار (٢) توفير الشيوخ: تعظيمهم .

الرَّحِمِ ^(١) وَأَنْ يَقُولَ حِينَ يُصْبِحُ وَيَمْسِي كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : سُبْحَانَ
اللَّهِ مَلَأَ الْمِيزَانَ وَمُنْتَهَى الْعِلْمُ وَمَبْلَغُ الرِّضَا ، وَزِنَةُ الْعَرْشِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَلَأَ الْمِيزَانَ ، وَمُنْتَهَى الْعِلْمُ وَمَبْلَغُ الرِّضَا ، وَزِنَةُ الْعَرْشِ .
وَأَنْ يَحْتَرِزَ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ الرُّطْبَةِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ
وَالصَّلَاةُ بِالْعَظِيمِ ، وَالْقِرَانُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَحِفْظُ الصَّحَّةِ ، وَلَا بَدَّ
مَنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الطَّبِّ وَيَتَبَرَّكَ بِالْأَنْارِ الْوَارِدَةِ فِي الطَّبِّ الَّتِي جَمَعَهَا
الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُسْتَفَرِّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِطَبِّ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ يَجِدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ
وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَيِّمَةِ الْأَعْلَامِ ، عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَتَعَاقِبِ الْأَيَّامِ آمِينَ .

(١) صلة الرحم : بر الأهل والأقارب . جاء في الجامع الصغير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الله كتب في أم الكتاب قبل أن يخلق السموات والأرضين : إني أنا الرحمن الرحيم ، خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته .

والحمد لله أولاً وآخراً

فهرس تعليم المتعلم طريق التعلم

صفحة

خطبة الكتاب	٢
فصل في ماهية العلم والفقه وفضله	٣
» النية حال التعلم	١١
» اختيار العلم والأستاذ والشريك والنيات	١٥
» تعظيم العلم وأهله	٢١
» الجد والمواظبة والهمة	٢٩
» بداية السبق وقدره وترتيبه	٤٣
» التوكل	٥٧
» وقت التحصيل	٦٠
» الشفقة والنصيحة	٦٠
» الاستفادة	٦٤
» الورع في حالة التعلم	٦٦
» فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان	٧٠
» فيما يلجب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقص	٧٣

قدیمی کتبخانه
مقابل آرام نایغ - کراچی